PDF-XChange
Click to buy NOW!
www.tracker-software.com

PDF-XChange
Click to buy NOW!
www.tracker-software.com

فاطمة يوسف عبد الرحيم

حكايا النافذة

قصص قصيرة

فاطمة يوسف عبد الرحيم
حكايا النافذة

لا تتولد موهبة الكتابة الأدبية بالنقل أو بالتقليد، بل بالعمل الجاد المتواصل، في محاولة خلق تجديد حر مادته الذات، وتعاملها مع الواقع بموية متميزة تعبر تعبيراً واقعياً أو خيالياً عبر احداث القصة وسلوكيات شخوصها.

فالكاتبة فاطمة يوسف التي نقرأ لها اليوم مجموعتها القصصية الموسومة (حكايا النافذة) تنقل لها صوراً حياتية نابضة تحس بها وكأن احداث كل قصة تجري أمام أعيننا، تحاول فاطمة أن تغوص في نفسيات شخوص قصصها للدرجة التقمص، فتنقل لنا مشاعر تلك الشخصيات صادقة شفافة وببساطة تقترب من البوح، وبصياغة عربية سليمة.

نازك ضمرة

دار أمواج للطباعة والنشر والتوزيع
عمان - الأردن - مرخص الشارع
Telefax: + 962 6 4889651 - P.O.Box: 530969 Amman 11134
E-mail: privabo@yahoo.com

PDF-XChange
Click to buy NOW!
www.tracker-software.com

حكايا النافذة

قصص قصيرة

تأليف

فاطمة يوسف عبد الرحيم

PDF-XChange
Click to buy NOW!
www.tracker-software.com

الطبعة الأولى

٢٠١٠

المملكة الأردنية الهاشمية

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية
(٢٠٠٧/٧/٢٠٨٩)

٨١٣,٩
عبد الرحيم، فاطمة
حكايا النافذة/فاطمة يوسف موسى عبد الرحيم_ عمان: المؤلف.٢٠٠٧
( )ص
ر.أ.:٢٠٨٩/٧/٢٠٠٧
الواصفات: // القصص القصيرة // العصر الحديث /

أعدّت دائرة المكتبة الوطنية الوطنية بياناتا لفهرسة والتصنيف الأولية
يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يعبّر هذا المصنف عن رأي دائرة المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية أخرى.

طبع بدعم من وزارة الثقافة
الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورةعن رأي الجهة الداعمة

جميع الحقوق محفوظة"

١٤٣٦هـ-٢٠١٤م

دار أمواج للطباعة والنشروالتوزيع
عمان –الأردن- ماركا الشمالية

Telefax:+96264889651-p.o.Box330959Amman11134

أعدّت دائرة المكتبة الوطنية الوطنية بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية
يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يعبّر هذا المصنف عن رأي دائرة المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية أخرى.

E-mail:printabd@yahoo.com

جميع الحقوق محفوظة

PDF-XChange
Click to buy NOW!
www.tracker-software.com

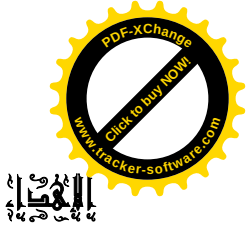

إلى الذي علمني حبّ الحرف، وللعلم انتميت

إلى الذي اغترفت من حبّه وحنانه وما ارتويت

إلى الذي بكى عندما جرحني الزمان وما برئت

إلى روح أبي الطاهرة وإلى أمي الغالية..

أهدي هذا الكتاب .

فاطمة يوسف عبد الرحيم

PDF-XChange
Click to buy NOW!
www.tracker-software.com

المقدمة

بقلم الأديب الروائي نازك ضمرة

قرأت لفاطمة يوسف عبد الرحيم بعض القصص قبل سنوات خمس، حققت فاطمة قفزة نوعية في هذه المجموعة القصصية المعنونة (حكايا النافذة) تجعلنا نتوقع منها المزيد والكثير من الإبداع الأدبي.

لا تتولد موهبة الكاتبة الأدبيّة بالنقل أو بالتقليد، بل بالعمل الجاد المتواصل، لخلق تجديد مادة الذات، وتعاملها مع الواقع بهوية متميزة تعبر تعبيراً واقعياً أو خيالياً عبر احداث القصة وسلوكيات شخوصها.

إنّ المدة الزمنيّة التي نحياها هي المجال المتاح للبحث عن الذات والتعرّف على الآخر، ما زالت اللغة من أهمّ وسائل التعبير عن هذه الإفرازات، بالحوار والتفاهم والتنافر والتقارب والتباعد والتصالح، ولكلّ إنسان أسلوب يتميز به في ممارسة حياته وتدارس حياة الآخر، متأثراً بنشأته وبتربيته وبثقافته وحبّه للتجريب والمغامرة والتجديد أو التمسك بالموروث.

إنّ الأدب حصيلة هذه المؤثرات فالكاتبة فاطمة يوسف التي نقرأ لها مجموعتها القصصية (حكايا النافذة) تنقل صوراً حياتيّة نابضة وكأنّ احداث كلّ قصة تجري أمام أعيننا، تحاول فاطمة أن تغوص في نفسيات شخوص قصصها لدرجة التقمّص، فتنقل مشاعر تلك

PDF-XChange
Click to buy NOW!
www.tracker-software.com

لشخصيات صادقة شفافة وببساطة تقترب من البوح، وبصيغ
عربية سليمة.

حين نتأمل كتابة فاطمة بعمق نحسّ بأنها تحكي كلّ شيء، لتعوض سنوات عديدة فاتتها، أولأنها انشغلت فيها عن الكتابة الأدبية، فنراها تحاول أن تضع خلاصة خبرة طويلة، مع قدرةعلى التعبير بتهيّب وقلق ولكن بصدق وإخلاص، معالجة مواضيعها بتفاصيل دقيقة في السرد وفي حوار الشخصيات أو تصرفاتهم. وكاتبتنا تبرهن لنا أن الأدب يبقى أدباً مميزاً لأنّه إبداع، سواء كان كاتبه ذكراً، أو أنثى، ونظرية الأدب الذكوري والأدب الأنثوي تختفي كثيراً في كتابات فاطمة، فهي تعبّر بلسان الجمع ولديها قدرة على الغوص في عقل الشخصيّة القصصيّة امرأة كانت أم رجلاً، فتحملنا لنتفهّم موقف كلّ طرف كي نتعايش معهم ومع حكاياتهم، موافقين أو معارضين، وفي أحيان أخرى محتارين.

وإذا وقفنا عند مسمى المجموعة القصصية فنجد أن الأديبة فاطمة تظهر صدقها ثانية فتنبئنا بأن قصص المجموعة هي حكايا، أي أنّها تدلنا على أنّها سمعتها أو قرأتها أو شاهدتها أو عاشتها أو تمّ تداولها، وبإضافة مفردة النافذة للعنوان (حكايا النافذة) تعطينا انطباعاً أكثر قرباً مما عنته فاطمة، فحين تقف في النافذة تشهد أو تشارك في أحداث واقعة أو حادثة أو سرد لقصة ما، وأترك القارئ يستمتع بقراءة المجموعة القصصية، وأملي أن نقرأ المزيد لكاتبتنا فاطمة يوسف عبد الرحيم.

عمان في ٢٠١٠/٥/٢٠م

PDF-XChange
Click to buy NOW!
www.tracker-software.com

١-عندما يعشق دمية

بعد بحث مضنٍ وجد العمل الذي يؤمّن له ولوالدته ثمن الطعام وأجر الغرفة الزهيد، موظف في محل للألبسة النسائية لترتيب الملابس وفق نظام معيّن، وتبديل ملابس دمى عرض الأزياء مساء لتهيئتها لعرض اليوم التالي، صعب عليه تنسيق أزياء كلّ دمية حسب ما يناسبها ووفقا لتعليمات صاحب المتجر، مما تسبب له بمشكلات مع صاحب المتجر.

منّ عليه ذكاؤه المحدود بفكرة، وهي تسمية كلّ دمية تعجبه اسما يروق له ويناسب جمالها فيبدع في تنسيق الملابس التي تليق بجمالها، الدمية التي لا تعجبه يختار لها اسما تقليديا ولا يبالي بأناقتها، وأصبح المتجر عالمه الحميم، أعجبته دمية سمّاها "نادين"، لها ملامح جذّابة، وعيون أخّاذة تشعّ بلون البحر، شفتاها كحبّة كرز، اختار لها أجمل الملابس لتختال بها.

تهافتت الزبونات على شراء زيّ "نادين"، ووثق صاحب المتجر بقدرته على تنسيق ملابس الدمى، تحوّل إعجابه إلى حبّ، يحاكيها: اجلسي، أتريدين قهوة وسيجارة؟ قهوتي لذيذة أصنعها بيدي، هيلها عبق أنفاسي، لا تدخني، فالتدخين يؤذي صحتك، لو أقلعت عنه لوفّرت لأمّي ثمن طعام جيد ورداء دافئ، أتعلمين أنّي أحبّك، أتحبينني؟ اعترفي، أريد سماعها لا أريد صمتك، في عينيك دمعة، أهي دمعة وله أم دمع حزن؟

PDF-XChange
Click to buy NOW!
www.tracker-software.com

إنّي أسمع صدى دويّ تنهيدات عشقك، أتقبلين بي حبيبة ترفضين؛ ألأنّ الفقراء لا يستحقون الحبّ؟ لكنّي طيّب القلب، سأبني لك قصرا له حديقة غنّاء ومحاط بالياسمين، لا أطيق الابتعاد عنك، أتشتاقين إليّ؟ أتسألين شيئا؟ "لمَ أنا، فالرصيف مليء بالحسناوات!" لا أدري لم أنتِ؟ أعلمني أصدقائي أنّ الحبّ يأتي بلا موعد، أريد حبّك الذي تملّكني وأسعدني، وتحتاجينه لأنّه سيدفئك في مكانك البارد، لِمَ لا تصرّحي بحبّك! وخالها تعترف"أنا أحبُّكَ".

تلقي أمّه عليه التوصيات يوميّا: حافظ على قروشك لأنّي أبحث لك عن عروس ترضى العيش معنا.

: لا تجهدي نفسك، اخترت عروس باهرة الجمال، حميدة الخلق، فم بلا لسان،لا تطلب ولا تغضب.

: أهي خرساء، وهل تعلم بفقرك!

: تهمس لي فقط، حدثتها عن حالنا لم تتبرم.

:رائع، أتأكل الزيت والزعتر!!

أذعن لتعليمات صاحب المتجر للعروض الصيفيّة، التي ستكون لفساتين الزفاف، همس لها: سألبسك ثوب الزفاف ونرقص معا، وأغنّي لك" طلّي بالأبيض يا زهرة نيسان" أبرقت ومضات السعادة على محيّاه، وخالها تغني له" يراقصني ويسمعني أحلى الكلمات" يلملم دموعها الواهمة حين تردد الأغنية "والمطر الأسود في عينيّ" خالها عروسه وغرق في رنين قهقهاته وفي دمع فرحه، حان موسم تجهيز العرائس، كلّفه صاحب المتجر تلبيس الدمى ملابس النوم المثيرة لمواطن الفتنة والإغراء، رفض، فأرغمه صاحب المتجر، خبّأها خلفه وكشّر غاضبا في وجه الشباب الذين يتأمّلونها في الرداء

PDF-XChange
Click to buy NOW!
www.tracker-software.com

لفاضح ويكيل لهم الشتائم، فيسخرون من سذاجته ليقبع في ر
مقهورا، يخالها متعاطفة مع حاله، لكن ما الفائدة! هي مغلّفة بالسواتر البلاستيكيّة والزجاجيّة، الفتيات على الرصيف مغلّفات بسواتر الأوراق النقديّة، والجميلات على شاشات التلفاز مغلّفات بسواتر الموجات الكهرمغناطيسية.

يريد امرأة واحدة، الفقر شلّ تفكيره، نيران الشباب تحرقه، أجهده العرق، ثار،غضب، قام إليها صفعها معنّفا"أنت صورة للعرض فقط" لفّ قبضتيه حول عنقها، خال كلماته تجرحها وتذرف دمعا، يريد كلمات، يريد آهات، لكنّ القيود كبّلتهما، لم يدر ماذا يفعل؟ غضب، ثار، حمل هراوته وبعصبيّة جنونيّة كسّرها، بعثرها، ثم لملمها، بكى قلبه عليها، في الصباح وجده صاحب المتجر ينتحب، طمأنه: أعلم أنّك كسرتها دون قصد، لن أخصم ثمنها من راتبك.

PDF-XChange
Click to buy NOW!
www.tracker-software.com

٢- سراب في اللقاء

ملامح الخريف تكتسحني وقد جفّت روحي أوان ربيع العمر، حزن عميق تسبب بالداء ّوأوهى الجسد، الوحدة أغرقتني في بحورها والذكريات تعتصرني، لا مؤنس لي إلا التلفاز، مللت السماع أريد التكلّم، ولم يبق لي وليف أناجيه، زوج وهبته عمري وأكّد الطبّ عدم قدرته على الإنجاب، لن أنسى حين رجاني كطفل أضاع دربه" لا تتركيني وحيدا، فأنت حياتي" وتغيّر الحال مع السنين وأعلن قرارا يتّسم بالأنانيّة "لأنّي حُرمت من الأولاد، استطيع بأموالي التمتّع بالنساء"

تتابعت حروفي ذاهلة "أتتركني وحيدة في زمهرير نهايات العمر، بعد أن ارتشفت رحيق شبابي وعمري" ردّ متعاليا: رافقتني مشوار الحياة وأحسنت معاملتك، واستمتعت بأموالي، ونفقتُك ستصلك.

: تنازلت عن أمومتي حبّا بك، ولم تكن غايتي أموالك، أتغادرني وفي الروح تتماوج الغصات!

: الهرم يقتحمك، وبمالي استطيع امتلاك أجمل صبيّة.

أنانيّته افترستني، هجرني ليتزوج شابّة صغيرة، وتركني أتسربل بالأحلام الهاربة وأنزلق بحركة انهزامية مستكينة في مقعدي لانصهر في احتراق ذاتي، لو يعود يوما ما اخترت حبيبا غيره، ما زالت كلماته تدفئ صقيع وحدتي وتذكّرني بما مضى من عمري، أفتقده كثيرا، وانتظره بأشواق كلّ المحبين، وأعنّف ذاتي حين تجبرني على تجاهل وجوده، لأنّه نبت يانع في مخيلتي، أتمنى نسيانه لتستمرّ حياتي.

PDF-XChange
Click to buy NOW!
www.tracker-software.com

رنين الهاتف يوقظني من شرودي وضياعي في دوامة الذكريـ
ألو، من المتكلم ؟
: ليلى، أرجوك كلّميني لا تغلقي الهاتف.
: الرقم خطأ، ابحث عن ليلاك في هاتف آخر.
: لكنّه صوت ليلى، لِمَ تنكرين نفسك؟ لم أنسَ رقته.

أقفلت الهاتف، أشفقت عليه لقد التبس الأمر بسبب رقة صوتي ونعومة لكنتي، كثيرا ما يُعتقد أني شابّة أثناء الحوار الهاتفيّ، عجبت من تدابير الزمن، شملت الشيخوخة كلّ ما فيّ وتجاوزت سهوا عن حنجرتي.

اخترق الرنين سكوني: ألو، لم نتعارف إلا بالأمسِ، لِمَ تهربين مني؟ دعينا نتكلّم، لن تخسري شيئا، أرجوكِ، هتفت نفسي"هو كلام عابر، تكلّمي حتى لا يخنقك الصمت بأنينه" تابع بعذوبة: ليلى اسم جميل رقيق، وصوتك شجيّ يهب لي راحة نفسيّة.

أجبته : أحبّ اسمي، لأنّ أشهر ليلى في تراثنا العربيّ أوصلتْ قيساً إلى هاوية الجنون.
: بداية صعبة، قيس جُنّ من الحبّ وهذا نصر لها.
: استمتعنا بشعره،لإنّه أجمل ما قيل في وفاء الحبيب.
: لم أقرأ شعره، قرأت شعر نزار قباني،واسمي...

قاطعتُه: انتهى، لا تقل اسمك يسرّني أن أدعوك قيسا رمز الوفاء والإخلاص.

:هذه بداية تعارف مذهلة ومبشّرة بالخير، أأنت جميلة مثل ليلى وملامحك جذابة! سأتخيّل لون عينيك وو...

PDF-XChange
Click to buy NOW!
www.tracker-software.com

كانت كلماته صدىً لكلمات سمعتها من زمن بعيد وخلتها لـ
لسانها ساخرة مني،"كذب، كذب" قهقهت حتى غرقت في دمع حزين، ولم يدرك عمق مأساتي.
: الشعراء يهوون الجمال ويبحثون عن إلهام شعرهم في قصة حبّ وقيس أحبّ ليلى لطلتها البهيّة.
:منطق سليم، وقد تكون قبيحة والمثل يحكي" حب حبيبك لو كان عبدا أسود"، لكن لم أسألك، كم عمرك، ما لونك المفضل؟ وكثرت الأسئلة...
تأففت: ليس ضروريا كلّ ما تسأل، التوافق الفكريّ يجعلنا نثرثر ونتسلى، كفانا كلاما اليوم.

تتابعت الأيام واستمرت المكالمات، واخترت رنّة تميّزه وتناسب السياق، " يا مجنون مش أنا ليلى ولا بنسمة هواك مايلة"، أدمنّا الكلام لأنّ بكلّ مرة تأخذ الأحاديث منحىً جديدا في مواضيع عامة، عاد رنينه: مللت حديث المواضيع العامة، وأصبحت ملاصقة لروحي، أريد معرفة كلّ شيء عنك.
قلت: نحن أصدقاء فقط، وهذا تجاوز لا أقبله.
ردّ متلعثما: سأوجه لك بعض الأسئلة التي تتعلق بمواصفاتك، إن أعجبك السؤال أجيبي أو اصمتي، لكنّي لا أحبّ صمتك.
أعجبتني الفكرة، تناولتُ صورة لي أيام الصبا ونفضت عنها غبار الزمن، وقرأت ملامحي يوم كانت السعادة تبرق جاذبية وجمالا.
: مواصفاتك هي التي أتمناها في فتاة أحلامي.

PDF-XChange
Click to buy NOW!
www.tracker-software.com

غرقت في ضحك باكٍ، وتعمّقت الأسئلة للصفات السلوكيّة والطبع
رددت بوهن: أنا هادئة جدا، مطيعة، متعاونة، أتنازل عن أغلى احتياجاتي وعمّا يمس كرامتي في سبيل إرضاء الطرف الآخر.
ضحك فرحا: أنا أحبّكِ واخترتك رفيقة عمري.

انهيت المكالمة وسخرت من تناقضات الوعد، وسرحت، كيف أحبني دون أن يراني، هل أَحبَّ روحي وإيقاع كلماتي؟ أيكون حبّه كحبّ جبران خليل جبران لـ مي زيادة؟ حبّ بالمراسلة،أهي أقدار! ظلال الكلمات ذاتها كتبت لي أيام الصبّا في رسالة حبّ استقرّت في كتاب، وعدت بالذاكرة حين كنت انتظر رسالته بشوق ولهفة وأنهل من دفقات عشقه.
وعاد الرنين: اشتقت إليك، هل لديك استعداد لبناء مستقبلنا معا، سأهيئ لك كلّ سبل السعادة؟
: يستحيل، ستستقر معها داخل مركبة المستقبل وتتركني على الرصيف.
: عمن تتكلمين، أحيانا لا أفهمك!
:لاشيء يبدو أنّ أسلاك الزمن تتضارب في مخيلتي.
: أنا عصبيّ جدا، أحيانا أنانيّ، وأقدر المرأة المطيعة.
: أعرف، وأضحّي لأجله حتى لو كنت مظلومة.
: ماذا؟ من تقصدين؟ الكلام لا يصل مفهوما.
: لا شيء، سقطات كلم.
: أنت أميرتي وفخر زماني وأعدك بالسعادة معي.
: لكنّ ذرات التعاسة تخنقني بين الجدران وهو معها.
: أيّ جدران، ومن هو؟ أرجوك، يجب أن نلتقي.

PDF-XChange
Click to buy NOW!
www.tracker-software.com

: هذا أمر مستحيل ومخيف، كيف ألقاك؟
: مم تخافين، إن رفضت سأغضب، بل سأنتحر.
: لا، خسارة شبابك، وستنجو امرأة من قمع رجل.
: أحيانا لا أفهم ما تقولين.
: هذيان شبكة ضعيفة، أعطني فرصة للتفكير.

مرت الأيام وهاتفته محددة المكان خارج الزمان، وطلبت منه الانتظار عند الشجرة الخامسة في الساعة الخامسة يمين شارع الجامعة ومرتدية تنورة بيضاء وبلوزة زهريّة وحذائي أبيض كعبه رنان، وشعري كستنائي متماوج بنعومة مستلقيا بدلال على ظهري طويل كساعات السأم، عيناي لونهما يحاكي صفرة ضوء الشمس لحظة غروب خريفيّة.
متلهّفا: كما تشائين،أنا بانتظارك على أحرّ من الجمر.

ارتديت عباءتي السوداء وأسدلت على شعري الرماديّ شالا أبيض، وحشرت قدميّ في خفّ زاحف، ذهبت متثاقلة للقائه، رأيته من بعيد، مكتوف اليدين، عيونه تائهة تبحث عن صبية حفظ مواصفاتها عن ظهر قلب، هذا المكان أعرفه، تحدد قدري فيه منذ زمن بعيد، خيالي صوّر لي فتاة قادمة تتهادى في تنورتها البيضاء، وبلوزتها الزهريّة وشعرها يتطاير بدلال على كتفيها، خلت السنين تجلدني، لتقول لها: ارجعي، هذا الرجل لا يحمل لك إلا الأسى، أرجوك ارجعي قبل فوات الأوان، قبل أن يكتب حظك المؤلم، اتركيه ينتظر، مررت من أمامه وتعمّدت التعثر، ساعدني وأجلسني على المقعد: استريحي يا خالة، إنّي انتظر رفيقة دربي، ابتهلي لله أن

PDF-XChange
Click to buy NOW!
www.tracker-software.com

التقي بها، رفعت يديّ وتمتمت بصوت خفيض: ليتها لا تأتي، لو تعرف كم العذاب الذي ينتظرها لما أتت.

تركته ينتظر سرابا، وعدت لأغوص في سرابي وانقطع خيط الحلم السرمدي واختزلت ذكريات تتضاربت في لجة غاضبة وغصت في سرابي كشجرة بلا جذور، سرابه من خلفي وسرابك أمامي، يممت برد عزلتي ورددت: ليتها لا تأتي حبيبتك، ليتها لم تأتِ ذاك الزمان، ورميت شريحة هاتفي في أقبية النسيان، وغاب في الزحام.

PDF-XChange
Click to buy NOW!
www.tracker-software.com

٣-أليس هذا حبّا!

ذرّات الغبار تتسرب إلى رئتيه كشلال دافق، أشعة الشمس تلسعه لتحرق وجها تحدّى نيرانها، فقرات الجسد النحيل تنوء تحت الأحمال الثقيلة، جلس في ظلّ حائط، أراح ساقيه، تناول من جيبه رغيف خبز، هشّم رأس البصل تحت قبضته وملأ خواء جوفه، مدّ يده إلى قروشه ليعدّها فتسعد قلبه لكثرتها، يحاورها : أرجو أن تكوني كافية لوجبة عشاء أسرتي.

سار بخطوات تتعثّر بوهن السنين، وقف أمام المحلات التي تستعرض مأكولاتها، رائحة الشواء تقهر أنفه، لكنّه اتجه نحو بائع الخضار ونقده ثمن كيلو بندورة وباقة نعناع، وتناول من المخبز بضعة أرغفة، لكنّه استغرب تجليّات اللون الأحمر التي توشّي واجهات المحلات التجاريّة، وتابع متوجها للمنزل سيرا على الأقدام ليوفر أجرة الحافلة.

وصل بيته مُنهك القوى، استقبلته زوجه بابتسامة وادعة وتناولت عن كتفه الحبال الغليظة، وعن رأسه العصبة السميكة التي تعينه على توازن رفع الأحمال، جلس متهالكا على أقرب مقعد خشبيّ، تناولت منه كيس البندورة والخبز، انتظرت ليخرج شيئا من جيبه لكنّ خواء يده أحزنها، ارتسمت على وجهها ابتسامة باردة وتنهّدت مستاءة : الله يعطيك العافية، لم تحضر شيئا آخر، جهّزتُ لك وعاء الماء الساخن المملح لتضع قدميك فيه وتريحهما من تعب العمل الشاق، حاولت نزع الحذاء الثقيل من قدميه اعترض: أكرمك الله لا تفعلي أنا أقوم بهذا، الله يرضى عليك.

PDF-XChange
Click to buy NOW!
www.tracker-software.com

: جهّزتُ لك العشاء، قليل من اللبن وبعض الزيت.

: أريد قطرة زيت لأدهن كفيّ المتقرّحتين من خشونة الحبل، ألحظ في عينيك الجميلتين عتابا، ما بك!

: توقّعت أن تفاجئني اليوم بهدية كما يفعل كثير من الأزواج في يوم الحبّ " الفلنتاين" قد تكون الهدية وردة حمراء، أو رداء جميلا، الأثرياء يقدّمون قلادة أو سوارا، أيكون يوم حبّ دون هدية!

ابتسم بحبّ: حبيبتي أُتهدى الوردة البيضاء وردة حمراء، ليتني ثريّا لوهبتك كنوز العالم، لكنّ العين بصيرة واليد فقيرة، الآن أدركت سبب اكتساء الأسواق باللون الأحمر؟ ثم تابع ممازحا، لكنّي أجلب لك يوميّا بندورة حمراء لتطبخي" قلايّة بندورة " للعشاء فأنا أعبّرعن حبّي لك كلّ يوم.

تلوّنت ابتسامتها رضىً: لكنّ الهدية تفرح القلب.

مدّ يديه الخشنتين أمام ناظريها:أتريدين هدية حبّ؟ انظري إلى الشقوق الدامية في كفيّ، وإلى الوعاء الملحيّ التي تلونت مياهه بتقرّحات قدميّ، وعمودي الفقريّ الذي قوّسته أحمال السنين، أتعرفين أنّ الصوت الذي يطربني هو صوت المنادي"يا حمّال" لحظتها استبشر برزق وفير، لأنّي بهذا الأجر سأفرح قلبك والأولاد بنوع من الفاكهة، أليس هذا حبّا!

: لكنّي أريد وأريد، وأريد....

: ليس المهم ما تريدين، لأنّي أقدّم لك أقصى ما استطيع بكلّ حبّ، في الشهر الماضي قبلت عرضا لتنزيل حمولة سيارة حمولتها ثلاثة أطنان لأحد المخازن من أجل شراء ثوب يستر جسدك، أليس هذا حبّا! ولم أخبرك كم شوالا من السكر حملت إلى الطابق الرابع لأدفع القسط الأول للغسّالة التي تريحك من الغسل اليدوي، أليس هذا حبّا!

PDF-XChange
Click to buy NOW!
www.tracker-software.com

وكم غزر دمعي لمرضك وآلمني وجعك لأنّي لم أجد ثمن دوائك. الناس يعبّرون عن حبّهم مرة في العام وأنا أعبّر عنه كلّ لحظة، أليس هذا أروع حبّ! الحبّ الصادق لا يحتاج إلى عيد، بل بنوع العطاء لمن نحبّ، إنّ بعض الأثرياء يقدمون لزوجاتهم الحُلى الثمينة ويخبّئون لعشيقاتهم حُلىً تساويها قيمة في هذا اليوم، فأنا أقدّم لك ما أحصل عليه وأعاملك بما يرضي الله وأسوة بالرسول علية الصلاة والسلام، الذي كانت عائشة أحبّ الخلق إلى قلبه، وأنت ِأحبّ الخلق إلى قلبي، اغرورقت عيناها بدمع السعادة: زوجي الحبيب، اغفر لي سوء تقديري، أتمنّى أن يدوم حبّك وعطائك، لأنّي أسعد امرأة بحبك.

PDF-XChange
Click to buy NOW!
www.tracker-software.com

٤-ما زال عطرُك يُبكيني

ركبتُ قطار العنوسة برغبتي، فرعايتي لوالديّ أفضل من أن أكون إحدى ضحايا سجن الزوجيّة، كلّما دخلت مخدع أمّي أراها تائهة بين صور الأطر الزجاجية تناجي قاطنيها وتشدو المواويل بشجن "سكابا يا دموع العين سكابا" أرجوها
: كفاك نواحا، ألا يجد النسيان طريقا إلى ذاكرتك! السنوات تمرّ وأنت في صومعة الذكريات تنسجين بكائية الأحزان حسرات على الراحلين والمغتربين.
تلمزني بتلميحاتها: لست قاسية القلب مثلك؟
احتجّ: إنّها كرامتي، ولن أتنازل لمصالحة ابنتك.
تزفر غضبا: يا ابنتي، هل الذي يجري في العروق ماء؟ تصالحا ليرضى قلبي عليكما.

أثرثر معلنة أنّ ابنتها أخطأت بحقّي وجرحتني وتتمرّد شياطين الكبرياء على أنواتي، رافضة المصالحة وأصرّ على القطيعة وأنسى سببها، إنّ طاعتي لأمّي عمياء، وحبّي لها لا يفوقه حبّ وأعمل أيّ شيء لأرضيها إلا هدر كرامتي، تلك مسحة العناد اتّصف بها، فترحل بنظرات حزينة، فأتمنّى أن أرتمي عند قدميها لتصفح عنّي، لكنّ نداء كرامتي يحملني بعيدا وتتسوّر جُدر قلبي القسوة، فيصلني صوتها الحاني آمرا " العيد ضيف عزيز يطرق الأبواب، وعلينا استقباله بأناقة مميزة.

PDF-XChange
Click to buy NOW!
www.tracker-software.com

بدأت حرب التنظيف المنزليّة، ألقيت نظرة على الصرّة الموجو
في خزانة أمّي والتي ألحظها منذ سنين، وكلّما سألتها عن سرّها تجيب باقتضاب"هذا ليس شأنك اتركيها وإيّاك معرفة محتواها" احترمت رغبتها وخصوصيتها والفضول يثير ألف سؤال، فكلّ ما في المنزل تحت تصرفي إلا هذه الصرّة.

هذا العيد كبقية الأعياد يطلّ علينا ومعظم أخواتي في بلاد الغربة، لكنّ الأعمال المنزلية أرهقتها وأحزان الاغتراب أجهدت قلبها، فتغيّر وجهها إلى صُفرة غير معهودة، وإذ بها تشير إلى الخزانة "هاتي الصرّة" فاحتضنتْها بدفء واستنشقت عبيرها وذرفت دمعا وجيعا وتنهدتْ" إنّ عطركِ يُبكيني" ونظرتْ إليّ بحنو وجيع"افتحيها" اقتحمتها بلهفة وكأنّها قلعة عصيّة، وأذهلتني محتوياتها(زجاجة عطر، منشفة، قطعة صابون، ليفة حمّام، مشط) وإذ بتيار من نظرات الدهشة يتماوج بيننا وبعد شرود: أمانة عليك عند وفاتي، غسّلوني بمحتويات الصرّة.
: لكن ساعة المشيئة الإلهية، نستطيع شراءها.
أجابت باصرار: لا، أريدها هي بالذات، لأنّ أختي عائشة غُسّلت بها عند وفاتها قبل عشرين عاما.

أوجعتني كلماتها وتذكرت الحبّ الكبير الذي بينهما، فبكيت، وبدا شبح الموت يدقّ بيتنا، لكنّ الطبيب تدارك بقدرة الله الأزمة القلبيّة، وغفوتُ قربها واحتضنتْ الصرّة لتشمّ عبق السنين الساكن فيها.
صحونا على تكبيرات العيد الصادحة وابتسامة العافية على وجهها، طرقات لاهفة على الباب، إنّها أختي باكية" أمّي، أهي

PDF-XChange
Click to buy NOW!
www.tracker-software.com

بخير؟" دلفت إليها واحتضنتُها وأغرقتُها بقبلاتها، ونظرات الـ
الوجلة تخترقني.

أطرقتُ بنظرات هاربة نحو الصرّة التي هوت بي إلى وادٍ سحيق من الندم، فرقّ قلبي ومددت يدي إلى أختي مصافحة وبصوت متهدّج"كلّ عام وأنت بخير يا أختي الحبيبة" واحتضنتها ونداء الندم يصرخ في أعماقي ودموع اللقاء الحميم تغرقنا، ملعون هذا الكبرياء؛ الذي تواريت ثلاث سنوات وراء جدرانه الصدئة، وأمي العجوز تحتفظ بعطر غُسل أختها ساعة الموت عشرين عاما، وتوصي بأن يكون غُسلها بعبير أشيائها، مودّة في الحياة، ورغبة اللقاء الحميم لحظة الموت من خلال نثرات عطر، والتفت إليها، فرحة غامرة اعتلت وجهها وسؤال حائر على شفتيها وكلمات يخنقها الدمع: أيعبق قلبك بكلّ هذا الحبّ ونكون بهذه القسوة! يمّا، رحمك الطاهر حملنا بحنان والذي في عروقنا دماء وليس ماء!!

PDF-XChange
Click to buy NOW!
www.tracker-software.com

٥ـلِمَ سفكت دمي!

بالأمس خرج من السجن الذي قضى فيه خمسة عشر عاما من القهر والندم على فعلته الفظيعة، ما أقبح أن يكون الإنسان ظالما لأغلى أحبته، قادته قدماه إلى المقبرة، علم أنّها ترقد خلف السور، سار باحثا عن صرخة طوّحت به إلى مهاوي الذلّ والقهر، خال آهاتها تعلو فوق أصوات غابة الموت، تناول غصنا جافا من شجرة سرو وكسّره بين أصابعه، نزف دمويّ لوّن يديه، تراءت دماءها تغرق يديه، اعتصره الألم، سرّح بنظراته لعلّه يستدل على قبرها، وخال رنين صوتها يناديه "أبي، أنا هنا،هنا" قرأ اسمها "سلمى العلي" صدى صوت آلامها يرنّ في الآفاق، ضبابية كثيفة تلف مدى الرؤيا، حروف اسمها تحولت إلى أشباح تمزق مسامات جسده، وخطّ اصبعه النازف "المغدورة" فوق الشاهد.

حاصر الدمع عينيه وأيقظ نشيج صوته المخنوق حسرات الزمان، "سامحيني يا ابنتي"، وخال انسياب طيفها من القبر، ورفيف أجنحتها يصفق بانسيابية، في ثوبها الأبيض وإكليل ورود يتوّجها، مدّ يده ليصافحها، تراجعت:لا يا أبي، لن ألامس يديك التي تلوّثت بدمائي، لن أنسى الوحش الذي في داخلك في تلك اللحظات الرهيبة حين قطّعت أوصالي.

كلماته مقهورة: اعترف الفاسق "فوّاز" بعد فوات الأوان أنّ كلامه افتراء انتقاما لرجولته لأنّك رفضت الاستسلام له، بعد أن خدعني وملأ رأسي بصور خطيئتك، وادّعى أنّك خليلته، فأطار صواب عقلي، فاستبحت دمك لغسل عاري.

PDF-XChange
Click to buy NOW!
www.tracker-software.com

أبي، لِمَ لم تتبيّن قول الفاسق وتتحقق من ادعاءاته، ألم تختر توسلاتي المذعورة قلبك، وهان عليك صباي، ألم تذكر ينابيع السعادة التي أثلجت بها قلبك منذ طفولتي، لِمَ تحوّل حبّك إلى بركان من الحقد، وحين رفعت ساطورك: أبي، أنا بريئة، واللهِ لم ارتكب ذنبا لتستبيح دمائي وتطلق روحي من عقالها، لكنّ الغضب الطاغي أصمّ أذنيك وحجّر قلبك.

انسحقت ذرات حجر الشاهد بين أصابعه وأطلق زفرات ندم: لكنّ صدى قهقهاته الساخرة تعالت فوق ارتجافات توسلاتك"استبحت عرضكَ، سمعتُكَ مُهانة، ابنتك تضيء بجمالها غرفة نومي" لم احتمل وقاحته فطار صوابي وأنا الذي يلوذ الشجعان لأوكارهم من هيبتي، لم احتمل تلويث شرفي بذلّ العار كسيرا، وقد تطاولت بشموخ كبريائي عنان السماء.

ردّت بحنين جارف: أبي، حبّي لك بلا حدود، رغم هيبتك التي يحسب لها ألف حساب أراك حملا وديعا، كنت الأمان الذي تتمناه كلّ ابنة، لن أنسى أحداث ذلك اليوم المشؤوم، عند عودتي من المدرسة، أبلغتني أختي الصغيرة برغبتك في ذبحي،اعتبرتها مداعبة، لم أصدق أنّ أبي يقتل ابنته المدللة.

دمعت عيناه: آه، يا مدللتي، لن أنسى سواد عينيك النجلاوين وجديلتك الحمراء المهدهدة على صدرك وابتسامتك التي أشرقت بأصدق حبّ!

: هانت روحي عليك فزهقتها كأيّ كبش من خرافك، ذبحتني بقلب بارد، ولم أفعل ما يغضبك، ولم تصدقني، وهويت بالساطور على يدي اليمنى وبترتها فانتثرت دمائي على جبينك فمددتُ يدي اليسرى

PDF-XChange
Click to buy NOW!
www.tracker-software.com

لامسح الدماء "فصرخت بلؤم: يا ساقطة، أتمسحين دماءك النجسة فبترت اليد اليسرى" فاستنجدت بأمّي الواقفة عند الباب، الغضب يفترش قسمات وجهها ولم تلوّنه أيّ شفقة أو صرخة خرساء، نظراتها شاردة، وكأنّ جدران الغرفة تصطف حاجزا بيني وبينها، انفجر دمعي ونبرة صوتها اللئيم تمزقني "أرحنا منها ،عاب اصبعك وقطعتُه وأزلتَ عارك بيدك، سلّم نفسك للشرطة"، كلامها أزهق روحي قبل أن يهوي ساطورك ليفصل رأسي عن جسدي.

PDF-XChange
Click to buy NOW!
www.tracker-software.com

استلب منها عنوة ما حصّلته من أجور الخياطة وصفق الباب خلفه، فانكفأت باكية تندب حظّها لأنّه ألزمها امتهان الخياطة، وتذمّرالزبونات يكيل لها قهرا، وأفواه عائلتها الجائعة تطنّ، زوج توطّن النكد فيه بكلّ أشكاله، البخل نهج حياته، سلاطة في اللسان، يد تهوى الصفعات، كلّما حاولت الانعتاق من سجنه تتصدى لها أمّها" الصبر يا سعدية، لمن تتركين بناتك!" فتتنهّد"أشك أنّ الصبر يقدرعلى صبري".

انزاح عن عاتقها عبء البنات، وقد أكملن تعليمهن وتزوّجن وظلّت الكبرى لتحمل مع أمّها المسؤولية، الصمت سيطرعلى حنايا المنزل، كلّ يعمل بصمت ويفعّل أفكاره نحو همومه، الهاتف يرنّ بقوة، سعدية تتأفف"ما بال رنينه كعويل ثكلى!"اتجهت إليه متثاقلة، لجمتها أسلاكه بخبر وفاة أمّها، تفجّر ينبوع الدمع، لفّت رأسها بمنديل أبيض، ودسّت قدميها بخفّ رقيق، طوت درجات السلم مسرعة إلى بيت والديها، التقت به على باب العمارة وعلم بالخبرمنها، ردّ بخبث"أراحنا الله منها" رمته بنظرة غضب.

ابتعدت عن الباب الرئيسي لمدخل منزل والديها الذي لم تتجاوزعتبته منذ ثلاثين عاما وتوجهت نحو موقعها المعتاد عند الشارع العام واحتضنت قضبان النافذة الخارجيّة للمنزل، مدّت يديها إلى الجسد المسجّى عند حافة النافذة التي احتضنت مناجاة وحكايا السنين، لن تنسى ذلك اليوم الذي تحوّل فيه الحوارإلى عراك بينه

PDF-XChange
Click to buy NOW!
www.tracker-software.com

وبين أبيها بسبب سوء معاملته لها، فأقسم يمينا بالطلاق لا رجعة ألّا تدخل بيت والديها، وحين يشدّها الحنين تقف عند نافذة البيت المطلّة على الشارع العام، واستمرّ الحال شهورا، وبما أنّه لا حلّ أمام إصراره فما كان من والدها وحماية لابنته من التقلبات المناخيّة وسترا لها من العيون المتطفّلة لوقفتها المثيرة للتساؤلات عند النافذة، فبنى لها معرّشا من عيدان القصب، ولمّا أصيبت أمّها بالشلل وضع سريرها عند النافذة وأقصى ما كانت تقدمه لها لقيمات عبر القضبان، حاولت كثيرا كسر قيد اليمين والدخول إلى بيت ذويها لكنّ أمّها كانت ترفض باستمرار "بيتك وبناتك أولى بك".

المعزّون يتدفّقون إلى المنزل، ارتفعت وتيرة البكاء والنحيب، تخترق يدا سعدية القضبان، تتلمس الجسد المسجّى، تبكي بمرارة، تتلهف لاحتضانها، والنسوة تبكي حسرات سعدية، ورُفع الجثمان على الأكتاف وسارت الجنازة إلا أنّها تسمّرت عند سعدية، وعلت التكبيرات، فأنزلوها أرضا، وانكبّت على الجثمان تحتضنه وتستسمحها، وانطلق به إلى المثوى الأخير.

عادت أدراجها إلى المنزل، منتحبة عند النافذة التي طالما وقفت تحكي لأمّها حكايا المعاناة التي قهرها بها، لتهدأ زفرات نفسها التائهة، فتتداعى أمام عينها شريط الذكريات، وأذهلتها قدرتها على الصبر والتحمّل وحزن يستدعي جراح السنين، لن تنساه وهو يكيل لها الضربات بسبب خروجها دون علمه تحمل طفلتها بين يديها إلى المشفى بعد انفجار الزائدة وماتت الطفلة وهي تتلقى الضربات، إصراره على مقاطعة أخواتها بسبب خلافه المستمر مع أزواجهن.

PDF-XChange
Click to buy NOW!
www.tracker-software.com
PDF-XChange
Click to buy NOW!
www.tracker-software.com

رأتها ابنتها من شرفة شقتهم، أسرعت إليها: أمّي، أتبكين في الشارع! اصعدي إلى المنزل، استقامت كعملاق واستدارت باتجاه منزل والديها، فتحت الباب على مصراعيه، دخلت وأخذت نفسا عميقا بعمق سنين الظلم، صاحت:أمّي ماذا فعلت؟ أتعلمين نتيجة تصرفك هذا، اصبحت مطلّقة؟ سؤال كبير بحجم المعاناة :لن أتقبل عزاءها على النافذة بل في منزلها! يكفيني ما عانيت، والتي تحمّلت من أجل إرضائها غادرت الحياة، لم أعد قادرة على تحمّل لؤم هذا الرجل، دخلت مجلس العزاء وتصدرته، البعض ينظر إليها بإشفاق والبعض الآخر بارتياح.

PDF-XChange
Click to buy NOW!
www.tracker-software.com

٧- فستان الخطوبة

الاستعدادات على أوجها لاقتراب موعد زفاف ابني البكر، والأفكار الوجلة تتنازعني، كأنّ عبئا جديدا اقتحم حياتي ليثير فيها الزوابع، قد تكون الغيرة من عروس ابني أو الخوف من الشيخوخة التي أخذت تغتال صباي، رغم أنّ شيخوخة الروح أنتهكتني نفسيّا بسبب الصراعات الزوجية، لقد أمّلت حياة زوجية حالمة بإيقاعات سعادة ولكنّها بدت مليئة بالأشواك.

كان زواجنا تقليديّا تمّ بعد اللقاء الأول في جوّ أسريّ بعد قبولنا للمظهر الشكلي والمستوى الاجتماعي الراقي لكلينا، لم نستجلِ ميول بعضنا، وبان التنافر المريع في الطبع، وكأنّ كلّ منّا من كوكب آخر،عصبيته مدمّرة لسبل التفاهم، وتقلباته النفسيّة تكسر إيقاع هدوء ذاتي، تهرّبه المستمر من البيت، كسائل زئبقي يتنائر كبلورات خلف مواعيده التي لا تنتهي، متذمرا"كأنّك كائن رقميّ بين أوراقك وحساباتك، وأنا مموّل لمشروعك الأسريّ!

مع السنين أضحى بيتي وأولادي ربيع حياتي، وهو خارجها، يحبّ السهرات الصاخبة مع أصحابه، وتعقّدت الأمور حين وصلتني أخبار بوجود علاقات نسائية، لم يدرك عمق عذاباتي، التجأت لوحدتي وتجاهلت سلوكه، رجاني " لا نحتاج عملك بل وجودك في الأسرة" رفضت، لأنّ عملي ضرورة نفسيّة للتخلص من الاختناقات الزوجيّة، وبرّر هروبه من البيت: أنا آخر من يُسأل عن رغباته، أنت امرأة تقليدية، معقّدة، ولا يوجد انسجام بيننا حتى لأبسط

PDF-XChange
Click to buy NOW!
www.tracker-software.com

لاهتمامات كالغناء، تحبين القديم وخاصة أم كلثوم في أطلالك فأسمعتُه مقطعا مخصوصا (أعطني حريتي أطلق يديّا ...آه من قيدك أدمى معصمي لم أبقيه؟ وما أبقى عليّا) أدرك قصدي، وانفصلنا من دواخلنا وأبقينا على الشكل العائلي اجتماعيّا، لكلّ منّا حياته الخاصة ولا نتحاور إلا للضرورة القصوى.

حاولت إبعاد هواجس الحياة الزوجيّة المضطربة التي تدخلني في متاهات الكآبة، وحيّرني اختيار ثوب حفل زفاف ابني، بحثت في الأسواق عن فستان مميّز يروق للمناسبة الاحتفاليّة الغالية، خلت نفسي قادمة من عالم آخر، الأذواق تبدّلت والأحجام ضمرت، عدت خاوية الوفاض، قابلني عند مدخل (الفيلا)سألني عن سبب غضبي، وعلّق"أنت لا تناسبين هذا الزمن وكأنّك جدتي" تركته مستاءة منه.

بحثت في خزانتي لعلّ وميض فكرة يحلّ أزمتي، لمحت حقيبة أخبّئ فيها ما يذكرني بلحظات حلوة أو مرّة وتجاهلت سخرية ابنتي" تخلّصي من حقيبة الذكريات" أول ما شدّني إلى محتوياتها فستان خطوبتي من الشيفون الأحمر، تبرّمت ابنتي منه، فاعترضتُ" لا تتدخلي، أتركيني لزماني كما تركتك لزمانك" أعادتني الذكريات الحلوة إلى يوم خطوبتي إذ كان جمالي مبهرا له وللجميع، وأدركت أنّي كقطعة حلوى زالت حلاوتها بعد أن ابتلعها، وهبّت العواصف وسقطنا في فجوة الخلافات الزوجيّة.

عدت للسوق للبحث عن"الشيفون الأحمر" وحملته للخيّاط الذي اعترض"الموديل قديم وكأنّك لا تتجددين" رددت "هل نعدّ كلّ قديم قبيح ألا تستمع للست وهي تشدو"للصبر حدود" ردّ مبتسما: أقنعتني

PDF-XChange
Click to buy NOW!
www.tracker-software.com

يبقى الجمال جمال في كلّ زمان، سأنفذ رغبتك". بحثت عن مقوّد الشباب في كياني التي هربت منّي تحت طائلة البيت والأولاد والعمل والصراعات الزوجية، واهتممت بأناقتي لأتحرر من قيود فرضتها على ذاتي وأوهمتها بشيخوخة مبكّرة، ودهشت لتلميحات مدير الشركة التي يتداخلها غزل غير مباشر ونظراته المغايرة " تتألقين، كأنّي أراك لأولّ مرة".

ارتديت الفستان الأحمر يوم العرس وعاد للغصن الريان رونقه وأسدلت شعري الأسود الطويل فبدوت كأميرة أسطوريّة، وتألّقت بوقار الخريف، وأعادت كلمات ابني الثقة "الوردة تبقى وردة حتى لو ذبلت، تبدين أجمل من عروسي" وأثناء نزولي الدرج المؤدّي إلى صالونات الطابق الأرضيّ، حيث سيكون حفل الزفاف، سمعت صوت زوجي يتنحنح ورائي إذ خالني إحدى المدعوات "سيدتي لو سمحت أريد طريقا، إلى اليمين قليلا" تسمّرت مكاني، كرر طلبه بأكثر من أسلوب، وثارت عصبيته، فالتفت إليه، ذاهلا "أنتِ ناديا زوجتي!" وخلته سيطير فرحا ليضمني وكأنّ ضالته عادت بكلّ رونقها، لكنّه تراجع متحسرا: لن أنسى حين بهرتني جاذبيتك يوم خطوبتنا التي انطفأت بعد الزواج، وشعرك لم أره إلا ملتفا خلف رأسك، ألآن حررته من دائرة اعتقاله! أنت دفعتني خارج حياتنا".

لاحقتني نظراته اللّاهفة وارتجافة الشفتين أزهرت بألف نداء للحبّ، تكرّر استدعاؤه لي بحجج واهية ليتأمل زوجه التي تاهت منه في خضم الصراعات الزوجيّة، وهمست لنفسي"أعرف هذا الرجل منذ زمن، كان هنا وارتحل" بينما كنت أرقب ابني يراقص عروسه،

PDF-XChange
Click to buy NOW!
www.tracker-software.com

ربّت برفق على كتفي وابتسم بعذوبة نورانيّة " ناديا، أتسمحين بمشاركة العروسين الرقص" واستسلمت له وكأنّ شيئا لم يكن، والتفت ذراعه بحنو حول خاصرتي وحلّقنا مع الموسيقى الصاخبة، والنظرات المتوّهجة بالاشتياق أعادت حنيني إليه، ابنتي مشدوهة، وابني يغمز لي بفرح لعودة الوئام بيننا، تبعنا العروسين وفرحة تضيء محيّاه، توقّفت عند غرفة نوم العروسين، استنفر: "لمَ وقفتِ هنا، ابنك اليوم رجل يحتاج إلى عروسه، آه من أمومتك الجارفة، ظللت زمنا طويلا تقنعينه أنّه رجل، وتحتاجين إلى سنين لتقتنعي أنّه أصبح رجلا، أتركيه، أعطني حبّا وحنانا وتناسي ما حلّ بنا.

توجّهت لغرفتي، فأمسك يدي بحنو آسر: أنا لم أنسَ ليلة الخطوبة وشهر العسل التي كانت من أجمل لحظات العمر، تعالي إلى غرفتنا، لم يكن غاضبا بل حنونا، دخلتها كمسحورة، ملأها بالورود الحمراء، والشموع متلألئة كبريق الحبّ في عينيه، واحتفل البيت بعروسين.

PDF-XChange
Click to buy NOW!
www.tracker-software.com

٨- لحظات مجنونة

تزيّن، تعطّر ودلف خارجا، لحقته عند باب الغرفة الوحيدة: أريد بعض النقود لشراء طعام للصغيرة.

: لا أملك شيئا، حصّلي المال بأيّ وسيلة.

: أعطني من رزمة المال التي تطلّ من سترتك.

: هذه الرزمة طعام الطاولة الخضراء في الكازينو، لا أُمانع إن يقضي صاحب المنزل ليلته معك، ارفعي السعر قليلا ليكفي طعام الصغيرة ودواءها.

ابتسم بدهاء وخرج، تبعته نظراتها بقهر وهو يلوّح بإشارات بذيئة ويرميها بكلمات نابية.

جالت ببصرها أنحاء الغرفة، توتر سيطرعلى أعصابها، تبحث عن بقايا طعام للصغيرة، البيت خواء، رجفة في اليدين، يزداد التوتر، ابتسامة غبيّة ارتسمت على الشفاه، نظرات تائهة، استيقظت الصغيرة باكية، شدّت طرف ثوبها "ماما، جائعة أريد خبزا" زاغت العيون، الطفلة تزداد صراخا، لطمتها بقسوة على وجهها: اصمتي لا أريد سماع نواحك.

: ماما، خبزا، خبزا، ماما، جائعة، جائعة!

: لا شيء في البيت، اسكتي صوتك يخترق شياطيني. وضعت يدها على الفم الجائع، الدموع تتدفق، رمتها أرضا، البكاء أضحى عويلا.

: ماما، خبز،خبز، ماما، جائعة، جائعة !!

: بعت كلّ شيء حتى جسدي، اصمتي، الرزمة في سترته، الطاولة الخضراء لا تشبع وتبتلع كلّ شيء.

PDF-XChange
Click to buy NOW!
www.tracker-software.com

هبطت فوقها صهرتها بجسدها، عويلها صمّ الآذان، لا تريد سماعها، سدّت الفم بيدها "جائعة" لم تسكت، انحدرت اليدان نحو الرقبة وأغلقت مجرى الطعام"لا تقولي جائعة" تاهت النظرات، وزاغ العقل، اليدان ترتجفان فوق عنق الصغيرة.

: اخرسي، لا أريد سماع عويلك، صوتك يلهبني.

تجمهر الجيران، وعلت الأصوات: ما بك؟ أنت تخنقين البنت! البنت ستموت.

كشفت عن ساقها، خطوط السوط حفرت أخاديد، ضحكات هستيريّة ضجّت بالمكان، العينان برزتا من جوفهما، تشدّ على الرقبة بقوة، والطفلة تقاوم بشدّة.

صاحت إحداهن: ابتعدي عنها، البنت ستموت!

: تموت، الرزمة فوق الطاولة، بعد قليل سيأتي صاحب المنزل يطلب الأجر أو يدفع ثمن متعته.

: لون البنت أزرق،ابنتك اختنقت، ابتعدي.

:الموت يبعد الجوع، تموت، هناك ستأكل وتشبع، حرام (تضحك بهستيريا، ها، ها، ها) من يدفع ثمن الطعام؟ الطاولة الخضراء نهمة لا تشبع، لا تشبع.

قالت إحداهن: من تجرؤ على إبعادها عن الصغيرة؟

ردّت أخرى: لا أحد، هذه مجنونة قد تؤذينا.

: ها،ها،ها، آه، مجنونة، العقل تاه من الجوع في دوامة القهر اليومي، ومن لؤم ابن الحرام، اصمتي، لا أريد العقل، إنّه يقيدني بألف وثاق، يجب أن يتحرر من قسوة الفاجر،اخرسي، لا تطلبي الخبز، الخبز مغموس بالذل والعهر والفسق.

PDF-XChange
Click to buy NOW!
www.tracker-software.com
PDF-XChange
Click to buy NOW!
www.tracker-software.com

وصل الشرطيّ، ضربها بكعب بندقيته وضحكاتها الهستيرية تعانق الجنون، وهدأت الصغيرة بين يدي الموت، ثمّ حملتهما سيارة الإسعاف كلّ إلى مستقرها.

٩- دعوة للحبّ

في لقائها الأخير مع جاراتها، أنصتت باهتمام وحسرة إلى حديث الاستعداد للاحتفاء بعيد الأم، كلّ أمّ تتباهى بما يُقدّم لها من هدايا، وكيف تستعدّ للاحتفاء في هذا اليوم الذي تزهر الفرحة بالحب وتورق القلوب بالأمل، الحزن تعمّق بقلبها، وأرسلت نظراتها تعانق الجدران التي تزخر بصورهم، ثمّ تساءلت: لم لا أعدُّ احتفالا رائعا لهذه المناسبة، وأتلقّى هدايا ويكون هذا يوم للحبّ والتسامح.

حبّها للأولاد كبير، لكنّ المشاحنات تُحدث القطيعة، ستبادر للمصالحة وستتغافل عن أيّ نزاع، جالت ببصرها فوق الجدران تعانق صورهم، وتحاورهم بصمتها الملتاع: هذه صورة أمل مع زوجها والأولاد، ما أروع بسمات الأحفاد، أعدك يا ابنتي، لن افتعل شجارا مع زوجك، سأكون وادعة، سأرسل دعوتي بالبريد السريع، يجب تلبيتها للاحتفال بعيد الأم،هو يوم للحبّ والتسامح.

هذه صورة طارق مع زوجه وأولاده، بُني سأتغاضى عن سماجة سلوك زوجك، لن انتقد عيوبها، وأعدك أن أتحمّل سلاطة لسانها وعجرفتها، سأرسل دعوتي بالبريد السريع، يجب تلبيتها للاحتفال بعيدالأم، هو يوم للحبّ والتسامح.

هذه صورة هدى الحبيبة وأولادها، لقد ترمّلتْ في ريعان شبابها، لا أحبّ حماتك، لأنّها امرأة متسلّطة، سأسامحها، سأرسل دعوتي

PDF-XChange
Click to buy NOW!
www.tracker-software.com

بالبريد السريع، يجب تلبيتها للاحتفال بعيدالأم، هو يوم للحب والتسامح.

ماجد الغالي، اشتقت لكَ، بُني المدلل، لم ترسل لي صورة، لكنّك شامخ في الذاكرة، البيت خواء دون صوتك، لا معنى له ولا رونق، الدراسة أنستك أمّك، أغاضب مني، لأنّي أقسو عليك لتهوّرك في اتخاذ القرارات، أوراقك احتفظ بها، سأرسل دعوتي بالبريد السريع يجب تلبيتها للاحتفال بيوم الحبّ للتسامح.

الدعوات اكتملت، أرسلتها في البريد السريع، الجدران تشتاق إلى صخب الأحفاد، وأشجار الحديقة تحنّ إلى قفزاتهم، مسحت دمعات الشوق والحسرة وهي تحدّق في صورهم: عودوا، مللت الوحدة، أحبّكم، نادت خادمتها أمّ السعد: جهزي غرفة الاستقبال للاحتفال بعيد الأم، هو يوم للحبّ والتسامح، استعدي، أريد مائدة عامرة بكل ما لذّ وطاب من أطعمة، رتبي العصائر والفطائر هنا، الأطفال يحبّونها، الحلويات هنا، أبنائي يعشقونها، السلطات والتبولة من أجل البنات، الطبق الرئيسي في الوسط وزيّنيه بالمكسرات، ضعي باقتين من الورود البيضاء تعبق بالحبّ، الشموع أشعليها لحظة البدء بالاحتفال، لأنّ خفوت الأضواء سيجعل القلوب أكثر تآلفا وستذوي الأحقاد والمشاحنات، وعدوا بالحضور قبل العصر،أنظري يا أمّ السعد إلى عيونهم ،إنهم صادقون،الحبّ يهفو على سيماهم، سيلبّون الدعوة.

PDF-XChange
Click to buy NOW!
www.tracker-software.com

قبيـل العصـر، طرقـات عنيفـة فرحـة:لا تفتحـي، سـأفتح البـ
سأستقبل أولادي، دخل زوجها غاضبا: إلى متى هذا الهراء، مررت بالبريد أعطـاني رسـائل، بعثرهـا بلـؤم فـي وجههـا ،لملمتهـا بـدمعها، وتابع بنبرة حادة: كالعادة لن تعودي إلى رشدك! رسائل بـلا عنـوان، إلى متى؟ متى ستدركين أنك عاقر، عاقر، و لم تنجبي، لا أولاد لكِ؟

PDF-XChange
Click to buy NOW!
www.tracker-software.com

١٠- سبحة الأستاذ

ما زال صدى صوته يرنّ في المنزل، فجأة ارتحل بلا مقدمات، وحُفظ ملف القضية، ورجع والدي إلى غربته التي أضحت له وطنا، واختفت خالتي، و صرت مسؤولة عن أسرة بلا سند، دمعتي مسحتها بحسرتي، نظراتي انسابت لصورته الجداريّة، نداء خفي دعاني لاحتضانها بحزن، لكنّ مجموعة أوراق سقطت من خلفها، إنّها مذكراته مدوّنة بخطّ يده الذي أعرفه، وقرأت، لعل السرّ فيها:

اعتدتُ النوم على شجوّ صوتك الحنون، تسردين حكايات الطفولة وتصرّين على استخلاص القيمة الأخلاقية لكل قصة، وأغفو على ابتهالاتك وأمنياتك لي بمستقبل واعد، انسحبت الطفولة من عمري وتدفق الشباب في الحنايا، وكنت تُصرّين على شرب الشاي قبل النوم حتى غدا عادة يوميّة، مقنعة إيّاي أنّه يجعل النوم عميقا والذهن صافيا لتقبّل التعليم.

مع الأيام اكتنفني دوار، عللته بسبب إجهاد الدراسة، لكنّني قررت تلك الليلة أن لا أشرب الشاي وأخفيته، أوحيت لك أنّ شاي الليلة لذيذ، استلقيت للنوم، لكنّ الأرق يناورني ويرحّل النوم إلى آفاق بعيدة، وتقلّبت كغصن غضّ تلوّحه ريح عاصف، إذ بصوت مفتاح الباب الفاصل بين غرفتي وغرفتك يغلق بإحكام، لحظات وصرير الباب الخارجي يعوي، ووقع خطوات حذرة يخترق أذنيّ، الوساوس

PDF-XChange
Click to buy NOW!
www.tracker-software.com

ـــر رأســـي وألـــف اســـتفهام يهـــوي بـــي إلـــى قيعـــان الشـــك.

كتمت أنفاسي، السكون يلفّ المكان، وحركة دائبة في غرفتها، همسات، وشوشات، بروق تحرق أنفاسي، شيء ما يحدث في الخارج، ضحكات، تأوهات، أدركت قذارة الفعل، وتساءلت، لم نقلت غرفتها إلى مدخل الشقة؟ لِمَ تصرّ على شرب الشاي قبل النوم؟ أيوجد في الشاي مادة منوّمة؟ ذهني ينسج صورا قذرة، بكيت بمرارة، أمّي التي دنّست طهارتها بهذا الفعل، بُصاقي يتدفق على محتويات المكان.

بكاء الصغيرة يدمّرالسكون، صوت الباب الخارجي يُغلق كجرح التأم على أعظم مفسدة، يا رياح القهر دوّي وزلزلي المساحات المضيئة في عمري، صوت الصغيرة يعلو، اكتنفها رعب العتمة، الغد أظلم يا أختاه، الكآبة تحتضن الأيام القادمة، صككت أسناني على صوت المفتاح، تناومت، لكنّ عواء غاضب: سلوى، ألا تسمعين بكاء أختك يا خبيثة، لم أهنأ بنومي، خادمة نهارا ومربيّة ليلا، ردّت سلوى: خالتي سامحيني، النوم أصمّ أذنيّ،لم اسمعها سأسقيها ماء، عودي لنومك.

قهر يدوس المعاني الطاهرة، تمنّيت أن تحضنني يد الموت الرؤوم، لا يدها التي تبثّ رائحة نتنة تقتحم المكان والزمان، قهقهت ملء جوفي المهزوم،إنّه نوم الأبالسة والأفّاقين، هذا الجرم قلب كلّ المفاهيم، بعثر القيم ودمّرها، حوّل المدركات لأوهام، فكّرت إعطائها

PDF-XChange
Click to buy NOW!
www.tracker-software.com

مبررا للخيانة، ألأنّ والدي في سفر دائم! أو لأنّ العيون تغزو جسد فتثير فيها العواصف الخامدة، لم تكن جميلة، لكنّ أنوثتها طاغية.

أبعدتني الأحداث عن الدراسة، واقتحم أستاذ التربية الإسلامية شرودي الذي أثار فضوله، وبلا تردد أفضت له بما لديّ، وبريق سبحته المتماوج يسلب انتباهي، وغدت أسراري رهينة لدى هذا الفاضل، وأعلنت أنّي سأقتلها لأتخلّص من عارها، نصحني الاستاذ الفاضل: بُني، لو فعلتها سيصمك العار حتى يبيضّ شعرك ويغضّن الزمن وجهك، والقاتل مصيره جهنم، برّها بالنصيحة، وأعطني فرصة إرشادها للتوبة.

حاصرتها عندما شممت رائحة عطر جارنا في فراشها، وواجهتها عندما عثرت على منديل السائق العمومي، صفعتها عندما التقطت غليون مدير البنك الذي يصرف لها شيكات والدي المرسلة من الخليج على تسريحتها، إغواؤها يذيب قيم الفضيلة حين توقعهم في مصيدتها، هددتها بالسكين"ما تقترفينه حرام وعار "ألقتْ سلاح الإنكار وفتحت هوة الجحيم "كلّ ما فعلته انتقاما لكرامتي من والدك" أذهلتني "لكنّك تسحقين بخطيئتك كلّ كرامة".

وسردتْ ملفات الزمن السحيق: قيدني والدك منذ سبعة عشر عاما بعقد الزواج بعد أن عقد صفقة مع والدي مقابل قطعة أرض وكان عمري أربعة عشرعاما، الزوج يكبرني بعشرين عاما مع ابنته الوحيدة سلوى من زوجه الأولى التي لم تطق الحياة معه، وسحبني معه للخليج العربي، أعاني مرارة الفقر والغربة، أسكنني مع عائلة

PDF-XChange
Click to buy NOW!
www.tracker-software.com

خيه وعاملني كطفلة غريرة، كانت زوجة أخيه متسلطة، وكسرتي بولائه المطلق لها وخلوتهما اليوميّة في غرفتها المبردة، وأنا أتقلّب على جمر الغيرة والحيرة وارتفاع الحرارة في صحن الدار.

عندما سألته عمّا يدور في غرفتها المبرّدة،أعادني وأولادي الصغارإلى بلدي وأسكنني غرفة في حيّ فقير، يرسل لي النزر اليسير من النفقة والكثير ينفقه عليها في الغرفة المبردة و يزورني شهرا كلّ سنتين، وكأنّي قطة يتربّصها قطّ شرس في موسم التزاوج ويقضي معظم وقته مع الأهل والأصحاب.

يسافر ثم يرسل رسالة مختصرة يسأل فيها عن الحمل الجديد،أأنا وعاءٌ لبذوره فقط! سؤال اقتحم الحصار:وهل نحن أبناء زنا؟"
ردّت بقوة: كلا، الحقيقة الوحيدة، أنتم أولاده". رجوتها: التوبة يا أمّي، وإلّا، أخبر أبي بخيانتك!!
: أنتم الخاسرون، ستتشرّدون، لم أقصّر في تربيتكم، ولن يعلم بعلاقاتي أحد، سمعتكم مصانة، هذه حياتي.
وانبريت لها غاضبا: لكنّي عرفت واحترقت، توبي وأستاذ التربية الإسلامية يرى فعلتك من الكبائر.
: سوء حظ، تجاهل الأمر،سأنتقم من أبيك الذي في الغرفة المبرّدة مع زوجة أخيه وأنا ألتهب حريقا، وسأختار ما يناسبني من الرجال لإطفاء رغباتي.

غرقت في لجّة من الحيرة،ما السبيل للخروج من هذه الدائرة المظلمة، هددتُها بقتلها وقتل نفسي، هدّأت اللعبة قليلا، لكنّها لم تقلع،

PDF-XChange
Click to buy NOW!
www.tracker-software.com

وتساءلت، ما سبب سقوط أمي، أهي شهوة الجسد التي اكتسبت كوباء، أم لأنّ جدّي تجاهل انسانيتها وعدّها صفقة، أم سلوك أبي الأرعن الأنانيّ، حاولت إيجاد عذر لها، لكن شرقيتي أبت تبرير فعلتها وبنوتي تخاذلت عن التنكيل بها.

أخذت مقتنيات البيت الثمينة تختفي، ساورتني شكوك بوجود خطّة للهروب، فاقتنيت مسدسا، راقبتها بحذر، وعند ساعة الصفر اقتحمت وكرها، لكنّ العشيق تسرّب بسرعة أفعى تنفث السّم في كلّ مكان، ودققتُ في أثر الجريمة، وعرفته، إنّها سبحة الأستاذ، ضحكت ضحكا هستيريا، ووجّهت المسدس نحوها، ودائما هي الأسرع لأنّها ولّت هاربة!!!

طويت مذكرات أخي وعرفت سره، وبكيت بغزارة لأنّ القهر سحقه فأطلق الرصاص نحو رأسه ولم يرجعها صوت الرصاص وسلكت طريقا اختارته وفُقد أثرها، ونشرت الصحف في مربع صغير خبرا "انتحار شاب في ربيع العمر لأسباب مجهولة"

PDF-XChange
Click to buy NOW!
www.tracker-software.com

١١-ورمى زهوره عاليا

سحبتُ خطاي المثقلة بهموم الزمن، لانتظر سيارة أجرة تحملني وأشيائي من ضروريات الحياة إلى أطفال ينتظرون، وزوج مهدورة قواه من العمل، مما يعكس قسوة في طبعه، الشمس تقدح رأسي لتلهب صدأ الشقاء الذي فرضته عليّ حياة قاسية فقيرة.

سيارة فارهة تصطفّ قربي، نسمات هواء باردة هبّت من مكيّفها لطّفت الحرّ، وددت شكر صاحب السيارة لهذه النسمة الباردة، لكنّ الحروف خرست على شفتيّ وتواريت خلف شجرة حتى يلج وعائلته داخل بناية فخمة، وألحت الذكرى في خضم الزمن الهادر، إنّه أستاذ اللغة العربية، برفقه زوجة جميلة أنيقة وأولاد تزدهي بنعمة الثراء، أذكر يوم تعيّن الأستاذ نعيم أستاذا للمرحلة الثانويّة، شاب تسمه دلالات الريف في لهجته وملابسه، له سذاجة القرويّ التي يسهل اختراقها من فتيات المدينة الجريئات.

له قدرة عالية على التعليم بأسلوب شيّق، لطيف في تعامله، وسيم جذّاب، منحني اهتماما لتميّزي بجمال أخّاذ، لاحظت صديقاتي ذلك، فأمطرْنَهُ بوابل من الأسئلة المحرجة والمخجلة أحيانا، أوعزن لي استدراجه لمغازلتي بغرض التسلية للتهرب من الدرس،أخبرت أمّي عنه ردّت بعنجهية ساخرة "لا أحبّ الفلاحين، أيكون الفلاح معلّما؟"

أقبل الربيع ينحت لوحاته وينثر زهوره هنا وهناك، فقدّم لي وردة في الساحة على مرأى الجميع، تظاهرت بالرضى، فشممتها بقرف ورميتها في سلة المهملات، وضجّت الطالبات بالضحك إلا طالبة

PDF-XChange
Click to buy NOW!
www.tracker-software.com
PDF-XChange
Click to buy NOW!
www.tracker-software.com

نبتني: حرام ما تفعلينه، احترمي إنسانيته! لقد اختارك ومنحك مشاعر صادقة لا تستحقينها.

أجبتها بغرور: أتغارين مني، لا يناسبني فأتسلى به!

مازحت أمّي: ما رأيك لو تزوجت فلاحا! ردّت غاضبة " لنكون مسخرة للعائلة"

دنوّ أوّل نيسان أيقظ فيّ دوافع المكر ودافعتني الفِكَر، فدبّرت مع صديقتيّ أمرا ما لنتسلى على سذاجته، وأبلغته صديقتي أنّي سأترك المدرسة لإتمام خطوبتي في أوّل نيسان، وصلني وجع تنهيدته، ورماني بنظرة آلمني صداها، ثمّ ألقى في الصف قصيدة حبّ من تأليفه، مغناة عشقه، يشكو معاناته من حبيبته التي لم تشعر بحبّه وستخطب لغيره، وفي غفلة من صخب الصف ناولني إيّاها، وضعتها بلا اكتراث في كتاب، متغافلة عن مشاعره المتدفقة نحو ذاتي العابثة، ونظراته المتعبة بحنين الوله تلاحقني.

قدّمت له بطاقة لحضور الخِطبة في "قاعة اللوتس"، وتغيّبت استعدادا للخطوبة، وصل الصالة حاملا باقة زهور غاية في التنسيق، وتماهى بأناقة مميّزة، همست "تعالي يا أمي لِترِيَ أناقة القرويّ" أربكه الخواء المهيمن على الصالة والهدوء، وضحكت مع صديقتيَّ ساخرات منه "أستاذ، الخطبة وهميّة للتسلية، هذه كذبة نيسان".

غرق في لجّة ذهوله، امتقع لونه وتصبب عرقه واصطكت أوصالة، وبتلقائية ثار لجرح كرامته ورمى زهوره في وجهي مزمجرا" صفاقتك ذبحتني وسخافتك يصعب اختراقها" وابتعد تلهبه سياط الخديعة، كلماته أعادت صوابي وندمت على فعلتي وخففت

PDF-XChange
Click to buy NOW!
www.tracker-software.com

صديقتايَ عنّي"غدا تعتذرين وكأنّ شيئا لم يكن" وتغيّبت عن المدرسة خجلا من مواجهته، لم أنسَ نظراته وكلماته، أبلغته صديقتي عن غيابي ردّ: لا يعنيني أمرها ولن يكون لها وجود في حصتي.

عدت للمدرسة وكأنّ المقعد خاوٍ، وإن وقعت نظراته الغضوب عليّ يغرسها في ذاتي المهزومة فتذيبني في قيعان الأرض، وتجاهلني كأتفه الأشياء كأنّي صَغار خلْق الله بنظره، وأدت حبّ صادق، قرأت قصيدته اليتيمة، لتلهبني نيران حبّه وتوقظ فيّ الأنثى المتشرنقة في بوتقة الولدنة، شوّهته أمي بذهني"لا نريد فلاحا"، وتسرّبت من حصصه لأسباب وهمية، وأضحى حازما مع الجميع.

عاتبت الطالبة التي نصحتني (احترمي إنسانيته): ليتك صفعتني وأخرجتني من غروري وتفاهتي.

تركتني وفي عينيها دمعة لا أدري كنهها! وحقدت على نيسان وعلى الكذب كلّه وتركت المدرسة وخطبت لأحد أقاربي.

زوابعه عصفت بكياني، وتمحور في ذاتي وحنين جارف ألقى بي في متاهته،عذوبة كلماته في قصيدته لوّنت حياتي بالسعادة، وظلّ صداها يرنّ في جوّانيات روحي، وما شعرت بصدق الحبّ إلا من خلال كلماته الدافئة ونظراته الولهى، لقد تواريت وراء السخف لأخسر أجمل مشاعر.

تمنيت نسيانه وأيقنت أن سبل الأمل مسدودة إليه، هل ألوم أمي التي هيّأت لي أنّ الفلاح من طبقة دونيّة أونكرة يستحيل الارتباط به، ليتها تراه ملكا مزهوا بعلمه وبمركزه الوظيفيّ وثرائه، وما آل إليه حالي، فأنا لا استحق أن أكون زوجة لهذا الرجل العظيم.

PDF-XChange
Click to buy NOW!
www.tracker-software.com

١٢-صداقة شيطانية

احتضنت صديقة عمري الثكلى لأهدّئ روعها، وأخفف عنها بكلمات لا تعيها،فالصدمة لا يستوعبها عقل، وأرقب وليد من خلال المرآة الجدارية التي عكست موقعه في غرفة مليئة بالذين حضروا لتقديم العزاء، لا يتقبّل الواقع أو يصدّقه، وبدت هالة من الشجن تحيطه من بين الجموع، ملقيا رأسه بين كفيه، يبكي فقد ابنه الوحيد الذي انتظره سنوات ليضيء حياته بعد ثلاث بنات.

أذكر فرحة وليد الغامرة التي لا تُضاهى لولادته، ودعاني إلى وكرنا السريّ في كوخ خفيّ في حديقة منزله، يوم لا أنساه أحرقني بقبلاته لوصول الفارس المنتظر، ليلة كاملة قضاها معي وزوجه في المستشفى تدغدغ أحلامها فرحة أم الولد، غرقت في أتون فرحتك، وأعماقي تنوح.

صراخ "منى" يعلو ثمّ يستلبها الإغماء، لم تتحمل فقدان الابن الغالي، أنثرعلى وجهها الماء، احتضنها، أغرق في دموعي على كلتينا، أشعة المرآة تحرق أوراقي، إنّها ألدّ صديقاتي، في الذاكرة ثقب تنصبّ فيه معاناتي وأنت تثير نيران حقدي.

ورحلت بذكرياتي إلى أولّ لقاء معك، يوم لوّحت لي من شرفة بيتك البعيدة، وانا في شرفتي استمتع بشمس الربيع الدافئة في فورة شبابي، تجاهلتك، لأنّك لو رأيتني عن قرب لفررت مني، فأنا فتاة معدومة الجمال ملتهبة الأنوثة لجسد غضّ، لا أنكر أن التلويح أسعدني،إذ كنت أحسد صديقاتي عندما يتحدثن عن المعجبين بهن، لكنّي أمام إصرارك على التعارف أوصلت لك بطريقة ما رقم هاتفي لمحادثتي أفضل من الإشارات التي لا تجدي.

PDF-XChange
Click to buy NOW!
www.tracker-software.com

توالت النداءات الهاتفية لشهور، وغرقنا في ملهبة العشق، واعتقدت صديقاتي أنّ قصة حبّنا من نسج خيالي، عذرتهن، ومن يحبّ فتاة مثلي، ونفد صبرك، وإصرارك على لقاء قريب أربكني، اختلقتُ أعذارا للهروب من فكرة لقاء مدمّر لعلاقتنا، هددتني بالقطيعة إن لم أقابلك، وقد أدمنت حوارك الهاتفيّ.

وافقت على اللقاء في مكان ما في الحديقة العامة عند النافورة، ارتديت ثوبا أزرق ووضعت على كتفيّ شالا أبيض، وقفت ورائي، كلام حلو انزلق كرمال ناعمة، وطلبت رؤية وجهي، وكانت الصعقة التي زلزلت كيانك، لم تتخيل قبحي المريع، فرميت باقة زهورك في البركة وأطلقت ساقيك للريح، وبكيت بمرارة، وعذرتك لأنّي تهرّبت من وصف نفسي لك، وانقطعتَ عن محادثتي وعددتها قطيعة أبدية.

صورتك تتكسر في المرآة، استفاقت" منى" لتهزّني بعنف نائحة"هل تصدقين أنّ هشام قد مات ": يا صديقتي أين ولدي؟هل مات حقا! بكاؤها موجع ويغيّبها الواقع المؤلم عن الوعي.

بعد شهرين طلبت لقائي وصرّحت أنّك لن تتخلّص من عشقي، وتكررت اللقاءات ولم نخمد تيار الرغبة الجارفة، وصرت خليلتك، طلبت الزواج وكان ردّك عنيفا" مستحيل أن تكون زوجتي قبيحة، وأسرتي سترفضك" وبحثتْ أمّك عن عروس جميلة، ووجود زوجة يقصيني من حياتك، ولا بدّ من تقديم تنازلات، فرشّحتُ لك صديقتي الغالية "منى" الجميلة، وأضحى وجودي مشروعا "صديقة للعائلة".

PDF-XChange
Click to buy NOW!
www.tracker-software.com

مثّلت دور الصديقة الوفيّة، لقاءاتنا السريّة مستمرّة، طلبت الزواج سرا، لأكون أمّا، ولأتوب عن الحرام، مللتُ دور العشيقة، سأقبل بأدنى الحقوق، أجهضت نفسي مرّات مرغمة، ويكون الجنين ولدا، تقتل أولادك مني وتتلهف لقدوم ولد منها، حبّي لك تحوّل إلى كره، لا يمكن لامرأة على الأرض تعشق رجلا يقتل أجنّتها، اتصلت "منى " وطلبت مني البقاء مع ابنها لترافقك لعشاء عمل، هشام حرارته مرتفعة وهي لا تأتمن أحدا غيري عليه، سخرت من ذاتي، لست أمينة على نفسي ومملوكة لشهواتي الدنيئة، أكره نفسي، ورضيت مرغمة بالسهر على رعايته.

أقبل وليد من الخارج، لم يلحظ وجودي، مرآته فضحت فعلته المشروعة في غرفة نومهما، افترشت الغربان مساحات في مخيلتي، الغيرة تأكلني، صبري نفد، ضحكاتكما تخترق الجدران، تأوهاتهما تشعل نيراني، بكاء الصغير يوتّرني، حرارته ترتفع، الغيرة اقتلعت بذور الحبّ، والحقد أصبح عملاقا.

وضعت يدي على فم الصغير لإسكاته، قتلتَ أولادي، صوت هشام لن يعلو، يدي تسدّ مجرى النفس، سكت الصغير، أبواه يحرقاني، خمدت أنفاسه، صرختُ: الصغيرلا يتنفس، أقبلتما عاريين فزعين، قرر الطبيب أنّ الحرارة أتلفت دماغه، ولم يدركوا أنّها حرارة حقدي، الآن انتقمت لأجنّتي وسأنهزم من حياتك للأبد، لن تراني بعد اليوم، وارتديت السواد على سنين عمري التي سحقتها بأنانيتك، ونادمة على كلّ لحظة عشق قضيتها معك.

PDF-XChange
Click to buy NOW!
www.tracker-software.com

١٣-أحبه... يا أمي

الطلاق رمى بكلينا إلى هاوية الاغتراب، بُعد زماني ومكاني قطّع الأواصر واختزل أيّ لقاء، اليوم يلحّ على تلافيف الذاكرة، ابنتنا الوحيدة التي لا يعرف عنها سوى اسمها في غرفة الولادة، ليته هنا ليشهد ولادة أولّ حفيد، لن يأتي، وتجاهل بذرته التي رماها في رحم الزمن، الولادة مستعصية والقلق يرمي بي في كلّ مسار، بكيت مع زوجها آلامها، لكنّ فرحتي زغردت لإحساسي بقلقه الوجيع عليها.

أعادتني ساعات الانتظار إلى ذاك الزمن حين التقيت والدها، الذي أدهشني بوسامته وثرائه، بهرته بجمالي وخفّة ظلي، تكرّم عليّ بمغريات الرفاه، قصرا فخما وسيارة فارهة وسياحة عالميّة، عروضه أغبشت عينيّ عن وضعه الأسريّ، ومشترطا أن لا أنجب أولادا لأكون زوجة ترفيهية، وافقت، وكنت الزوجة الرابعة ولي ربع الاهتمام، حبّه وثراؤه أعمى بصيرتي وشوّه حقائق الحياة الحلوة عن عقلي، نصحتني أمّي"إيّاك وهذه الصفقة!" أمضينا أحلى الأوقات في شهرالعسل، ثمّ طبّق البرنامج الرباعي.

عشقته ولم أتخيّله إلّا لي وحدي، فاقترحت أمّي عليّ الحمل، فالأولاد تشدّ الرجل إلى بيته إضافة إلى مزاياي الجماليّة والإغرائية، فحملت متجاهلة شرطه، وبشّرته، أبدى فرحا مصطنعا وبعد الوضع أقبل عليّ كأنّه معزّيا "مبارك" عللت ذاك لكثرة أولاده.

PDF-XChange
Click to buy NOW!
www.tracker-software.com

أهداني علبة مخمليّة "هدية سلامتك" التمع منها بريق الألماس فرحت بها وشكرته، لكنّه خنق فرحتي بورقة رمى بها كإعصار، إنّها "وثيقة طلاقي" هلع الموقف زلزلني: لمَ، وأيّ ذنب اقترفت!

ردّ بحزن: أنتِ نقضت العهد الذي بيننا، أريد حياة زوجيّة ترفيهية بلا أولاد، وقد وافقت على شرطي.

بانفعال شديد: أيكون بنواميس الكون اتفاق مجنون كهذا، الأمومة من حقّي، والأمر ليس بيدي.

ترك لي حريّة الزواج شرط ضمّ ابنتي إلى جموع أبنائه، فآثرت الاحتفاظ بها وأسدلت حاجز الزواج، ربّيتها وكانت سرّ سعادتي، وفي السنة الثالثة الجامعية، لاحظت تغييراعلى سلوكها، سعادة أبرقت في ملامحها، زغردات مضيئة في عينيها، تتألق مع كلّ أغنية حبّ، كلّما رنّ هاتفها تختفي في غرفتها وتدّعي أنّها صديقة.

نبشت الغربان رأسي، شكوكي تؤكّد وجود رجل يستلب عقلها وقلبها، قلق أحرقني، أيكمن لها ليقتنص لحظة ضعف ليصطادها، بحثت عنه في بقايا أوراقها الممزقة، حمّلتها الهاتف خوفا من ذئاب الطريق ولأطمئن عليها في الجامعة وليس لنسج قصص الحب، رنّاته تنذر بالخطر، فاقتحمته لأعرف خباياه.

يحتدّ الحوار، فاستفسر عن المهاتف، فتعترض "فيتو" وعقيرة تصيح: هنا لا تجاوز، هل هذه الثقة والحريّة الشخصيّة والديمقراطيّة التي ربّيتني عليها! لا تتدخلي بخصوصيتي ولا تكوني رجعيّة.

PDF-XChange
Click to buy NOW!
www.tracker-software.com

: لن أشهر رايات الهزيمة، سأربيك بدكتاتوريّة أمّي ضربا بالحذ
لست رجعيّة لكنّي مع الحبّ العقلاني، من حقي معرفته، ولن أضيّعك باسم الحبّ، كلّ الرجال تعشق، والقلّة تؤتمن على حياة أسريّة سويّة.
أغرقتها بدمعي: أحبّه يا أميّ، لم تحبّي، إنّه رائع.
: رائع بمعايير زمانك فأنا من ضيّعها الحبّ، ودفعت ثمن سوء الاختيار، فالتجربة علمتني الخُلق أولا وليأت الحبّ على مهل.

قابلت الذي استولى على قلبها، اقتحمت عالمه، وجدته يجاري أتفه الموضات والصرعات"، يتحدث متشدقا اللبان، شعره يتناثر على كتفيه، تعليقات وسلاسل، شكل وشمه ذكّرني بعرافات القصص الغرائبية في عوالم الشعوذة، حاورته حتى لا يكون حكمي عليه ظاهريّا فوجدته تافها، يجذبها بمعسول الكلام ويخفي خبث النوايا، تقصّيت عنه، تفكك أسريّ، فقر، وإدمان، ورفقة سوء، لن أتركها تحترق في أتون نرجسيته وتكون رقما في سجل عشيقاته، وانتزعتها من شراكه حين عرضت عليها صور العذاب القادم، ففرّت منه.

تقدّم الزوج المناسب المؤتمن عليها، وأبلغت والدها عن موعد زفافها، فأرسل حفنة نقد ولم يعنيه تهنئتها هاتفيا، صحوت من وكر ذكرياتي على صوت الطبيب: مبارك، رزقت بابنة، وحمل زوجها لها باقة ورد وباقات حبّ،احتضنت ابنتها وهالة الأمومة تلفّها بقداسة، وغمرتها بحبّ"مغرومة يا إمي" حدقت بذهول، غمزتني وابتسامة السعادة تضيء مُحيّاها: أنا مغرومة به وبابنته والفضل لك يا أمي، أنقذتني من سوء اختياري وتقديري للأمور.

PDF-XChange
Click to buy NOW!
www.tracker-software.com

١٤-اليوم خمر وغدا لا أمر

هنّ يكثرن الضحك والشغب المألوف في أجواء الغرفة الصفيّة وما يعبّرعن عمر الورود، تجلس عند النافذة، ترحل بنظراتها عبر الأثير، غائبة عن الزمان و المكان ورفقة الأتراب، كلّما دعوتها للانتباه تستجيب لحظة ثم تعود إلى عالم لا يُعرف كنهه، تقضم أظافرها، تسلخ جلد أصابعها، وجهها يميل للاصفرار والذبول، مشكلة ما تنتهك وجودها، رنين الجرس أخرجها من شرودها، وقفت متثاقلة لتخرج إلى الفضاء الرحب لترتاح من قيود المقعد.

أشرت لها بالبقاء، استكانت، وانتظرتُ خروجهن لاقتحم عوالمها، احتضنت يديها واحتويتها بنظرات ودّ وحنان: بوحي بما أثقله الزمان، وأعدك بالكتمان.

: ما بي لا يُحكى، ولأنّي أحبّك وأطمئنّ إليك، سأشكو، مصيبتي والدي، ليته يموت حرقا، لإنّه شيطان آثم، وحش مفترس.

: إيّاك ذمّ الوالدين، أين برّهما!

: وكشفت عن أجزاء من جسدها تقشعر منها الأبدان.

: ماذا فعلت حتى ينالك هذا العقاب؟

:لأني أحيانا لا أستجيب لنداء الفاحشة معه، بعد أن يفرغ في جوفي عنوة بعض أقداحه.

صعقني اعترافها وقفزت كمن لدغته عقرب.

: أين أمّك؟ ألا تستطيع حمايتك من هذا الشيطان؟

: أمي تعمل خادمة في البيوت نهارا لتؤمن ثمن طعامنا وثمن خمره.

: ألم تستغيثي بأهلك أوحماية الأسرة أو الشرطة؟

PDF-XChange
Click to buy NOW!
www.tracker-software.com

. لا أستطيع شيئا، خوفا من انتقامه، اكتمي أمري.

انتقلت من المدرسة وانقطعت أخبارها، في يوم كنت انتظر الإشارة الضوئية، إذ بصبية تقتحم عليّ حدود صبري "حسنة لله" فبادرت لأعطيها لأنّي لا أطيق إلحاحهنّ، وإذ بها أمامي وعلى كتفها طفل، حيّتني باشتياق "معلمتي" بادرت فورا: اصعدي، وخبّريني ما الذي أوصلك لأسوأ حال، وما الطفل؟

:اعتاد صديق والدي الشاب مجالسته لمعاقرة الخمر والعربدة الصفيقة، وتترنح الأقداح بينهما حتى خذلته يده فسقط الكأس، سمعت صدى الشظايا ونداء مترنح:"سلاف،هاتي كأسا" ناولته والرعب يلاحق خطواتي، افترسني "حمدان" بنظراته وتكسّرت الكلمات على شفتيه"من هذه؟" :ابنتي سلاف، وهل أمتع من السلاف في الدنيا.

حدّق بي، نظراته لامست تضاريس جسدي وأبدى إعجابه بجمالي، فعرضني والدي عليه كسلعة باسم الزواج، فوافق بلا تردد، رفضت مستنكرة العرض، لكنّ أبي أصرّ، الاختيار محال، لا يوجد مساحة للأحلام، وترنّحت لكآبة جسد مزقته رغبات غير مشروعة، وتمّ القران خلال يومين، وانتقلت لبيت أهله، أسكت ثورة والدته ضد وجودي بعقد الزواج: أبوها راضٍ عن بمساوئي، اصمتي رأفة بي.

تحوّلت بهذا العقد إلى خادمة في بيت أهله، الحماة تكلّفني بالأعباء المنزليّة نهارا، والزوج يتمتّع ليلا، صمدت صمودالجبال، وانكفأت على جراحي لأغالب انكسارات الذل التي تتوالى على نفسي المهانة، طلبت منه ثوبا جديدا، فالثوب الوحيد الذي ارتديه يضيق عليّ، ضحك" طعامنا الشهي جعلك سمينة، إن أسعدتني الليلة أعطيك

PDF-XChange
Click to buy NOW!
www.tracker-software.com

ثمن الثوب، كيف تسمنين وأنت تعملين كحمار جارنا أبي عليّ بكيت، لأنّ ثمن الثوب ذكّرني بشرط أبي الذي فرضه عليّ مقابل مصروفي في سكره الشديد، ولم أدافع عن عفتي خوفا منه.

انتفخ البطن، سألتني أمّه بغرابة: هل أنت حامل؟ صمتُّ، واصطحبتني في اليوم التالي إلى الطبيبة النسائية، التي أكدت حملي في الشهر الرابع، سقطت الأقنعة، وعلا صراخها، ومسّدت زوايا رأسه ساخرة: إنّي أبحث عن قرنيك يا تيس، زوجك حامل.

وقع كأسه وضحكات هستيرية: سلاف، أنت طالق، اذهبي إلى والدك وبلّغيه أنّ الهدية غير مقبولة، وسأتسامح مع والدك الوفيّ، وأكتب المولود باسمي. همست بانكسار: إنّه ابنك.

ساخرا: من أين النطفة! وأنت زوجتي منذ شهرين.

الأم مشدوهة: كيف تسجله باسمك وهو ليس ابنك؟

كلماته مترنحة: خدمة أقدمها لصديقي اللدود،ما ضير العالم أن يكتب في سجلاته "فلان حمدان" ولتعرف بنت الكلب زوجتي السابقة التي خلعتني لأني لا أنجب، أنّ لي ولدا، أمي، هل حقا هذا العجوز الخرف الذي يقبع في الغرفة المجاورة هو أبي، من يدري؟

: أخرس، الخمر أذهلت عقلك ولا تدري بما تهذي.

: أمي، اليوم خمر وغدا خمر وبعد غدٍ خمر ولا أمر.

فرقعتْ ضحكة رقيعة: هربت للشارع لأستجدي طعامي وأرافق من يدفع لي ثمن ليلة حمراء، اسردي حكايتي وأكّدي أنّ المرأة لا تسقط في الوحل إلا إذا لحقها عدّاء فاجر قذر، وتاهت في الزحام.

PDF-XChange
Click to buy NOW!
www.tracker-software.com

١٥-مبروك.. وللفقيد الرحمة

تكوّمتْ في ركن الغرفة كجنين أشرأب من الظلمة إلى النور، إنّه مسجّى أمامها، لفظ أنفاسه الأخيرة بعد جلطة أودت بحياته إثر غضباته العارمة، الموت برهبته لم يحرك دواخلها، حدّقت بالجثمان تارة وبوفود المعزّين تارة أخرى، وهمست"رغم جبروته رماه الموت أرضا"، تركها والأولاد فريسة فقر جاثم بين أروقة المنزل.

عجّت أبخرة الذاكرة المتعفنة بذكريات مقيتة، خمسة عشر عاما قضتها معه ذاقت الذل والقهر، وثلاثة أولاد اتّسمت حياتهم بألوان العذاب من جرّاء الصراع الدائر بينهمان الكلّ يذرف الدمع، أيبكون إنسانا عُرف بقسوته وانحرافه أم يبكون أحزانهم المتراكمة في دواخلهم؟ صمتها يحاكي الجسد المسجّى "أحقيقة مات أم سيستعيد وعيه ليحمل عصا يهوي بها على جسدي" .

ارتجفتْ للفكرة واستبعدتْها، ونهرتْها جارة "ابكي، البكاء يريح النفس الثكلى" رمتها بنظرة شاردة، وسخرت من أعماقها، "أأبكي من ظلمني وعذّبني" وأخرى مواسية "مسكينة الصدمة مذهلة" عويل أخته النائحة "يا حسرتاه انكسر ظهري" ورفعت الغطاء عن وجهه لتقبّله، أشاحت نافرة من ملامحه، وتذكرت أنفاسه المخمورة وأصابعه التي تتقن فن لعبة القمار.

حرّكتْ يدها العوجاء التي كسرها بإحدى ثورات جنونه ورفض معالجتها، وترنّ صدى فرقعة ضحكاته حين يراها مهزومة تحت

PDF-XChange
Click to buy NOW!
www.tracker-software.com

سع ضربات سوطه وتلوّن جلدها من أثره حين يلازمه في حا
شذوذه، وأمسكت بقايا شعرها واقشعرّت من أعظم متعه حين يسحبها منه إلى فراشه وبعد قضاء شهوته، يركلها "ابتعدي فأنا أكره رائحة أنفاسك وحقد عينيك"، كثيرا ما أمسكت مقبض الباب تريد الهروب من هذا الجحيم، لكنّ نظراتهم الغارقة بالدمع تستصرخ فيها نداء الأمومة والحماية من غضباته.

تخيّلته يعود من عمله لتشكو له عبث الأطفال ونكاية الحماة، وغيرة الجارات من هنائها، وتمنّت لحظة صفاء نادرة، لتلقي برأسها على صدره ويترك أصابعة تداعب خصلات شعرها المائجة، وتحكي له حكايا الشوق والوجد، ومرافقته لنزهة شاطئية فتتعانق كفّاهما بدفء ويتماوج البحر بنعومة رماله عند أقدامهما، وتحار أتمتّع عينيها في وهج الغروب، أو تتوه في بريق عينيه لتستلهم منهما نداءات حب حالمة، لتسافر معه عبر الآفاق والأحلام.

استفاقت من حلمها إلى واقع مرير، لن يدخل بعجرفته وقرفه المعلن ولسانه البذيء، ونظرت في ثوبها الموشّى بالثقوب، وكثيرا ما رجته أن يمنّ عليها بثوب جديد، فيردّ "ثمن كأس خمر تعدل مزاجي أولى منك" التفت لابنتها الناحبة لعاطفة البنوة، لعلّه أشعرها بدفقة حنوّ لحظة اعتدال مزاجه، حاولت أن تستفيض شيئا من الدمع على يُتم الأولاد ولهيبة الموقف، لكنّ الجفاف أدرك المآقي.

حانت ساعة الدفن، تأكّدت أنّه سيُحمل إلى مثواه الأخير، أقبل الجميع لوداعه بالدموع والدعاء، لكنّها لوّحت مودعة من بعيد،

PDF-XChange
Click to buy NOW!
www.tracker-software.com

ومشفقة "مسكينة لم تحتمل لوعة الفراق" وانسحبت للمطبخ لتتنو
من مكان خفيّ زجاجة مليئة بالوقود أفرغتها في الحوض، وقدحت بقدّاحة وحدّقت في اللّهب المشتعل مقهقهة، وصوتا "ماذا تفعل، حسرتها علي زوجها خبّلتها".

ولم يدركوا سرّ الزجاجة التي خبّأتها للحظة يفرغ فيها مدد الصبر وتستحيل الحياة وتضعف المقاومة ويصبح الموت حرقا حلا لمشاكلها، إنّها عدة الخلاص، ليست مجنونة بل تعي ما تفعل، عادت إلى الركن ملقية الرأس فوق اليدين المستندتين على الركبتين وانحدرت من عينيها دمعة سخينة على شبابها الذي أزهقه بجبروته، حان رحيل المعزّين، تمنّت لو تقدمت واحدة وتجرأت وهنّأتها بخلاصها من العذاب بعبارة: مبروك.. وللفقيد الرحمة .

PDF-XChange
Click to buy NOW!
www.tracker-software.com

١٦-وتاه العقل منها

بدت مثل "روز التايتنك"، شعر أقطنه الشيب، عينان تماوجهما زرقة بحر، بقايا حُسن أخّاذ غضّنته الشيخوخة، العمر أوغل في الوهن، أقفلت الباب بالمفتاح وخبّأته في كيسها، جرّت المقعد وأشياء ثقيلة بقوة خلف الباب وبعثرت كلمات لا يربطها معنى، تكوّمت ابنتها في ركن الغرفة، أنين مكبوت، حروف تائهة، ضربتها بالعصا على يمينها، علا أنينها.

رحلت بنظراتها إلى الزمن البعيد،عنّفتها: أين كنتِ؟ تتغيّبين بالساعات، كنت معه، راودك بغمزه، ولهف قلبك له، اعترفي، تبعتِه خلف العمارة،لا، خلف البيدر
أو تحت الصفصافة، اختفيت ولحقني وغنّى بدفء
"زهرالبنفسج ربيع بلادنا" ونسينا تعب الحصاد ومُرّ
الحياة، أمّي زجرتني "العشق عيب مجون، كوني
صلبة كعسكري انجليزي"عند النبعة، نثر ياسمينا
على جديلتي،عبقها ألهب حنيني إليه، قلبي يهواه،
هربتُ منه وإليه، تعثّرتُ، ساعدني، لمْسته دافئة، صاح سلوم الأهبل "بدرية غواها خليل"خفت، هربت، ثرثرات أهل البلدة فرقعت الخبر.

خالي" فارس" من الثوّار، شاربه مفتول، مهيب، شرر الغضب يقدح من عينيه، نادى عليّ"أين الساقطة، الفاسقة، أسيرة العار" جثوت عند قدميه "بريئة يا خال، لم يلمسني خليل، تعثّرت، فأعانني على النهوض" لم يصدّق براءتي، جرّني من جديلتي.

PDF-XChange
Click to buy NOW!
www.tracker-software.com

.عيونك الزرقاء فيها ألف نداء، أهل البلدة يحكون عن عيون بدر
وجديلتك الشقراء، هيّا إلى رهوة الريح.
: لمَ يا خال؟ ما ذنبي هل جمالي أضحى نقمة عليّ.
:سأذبحك وأرميك في الوادي، لعل الذئاب تنهشك، ربما لا تقبل الذئاب نهش جسد دنسّه العار!

مشيت خلفه طائعة باكية، قصّ جديلتي ورماها في الوادي، شحذ السكين ووضعها على عنقي، عيونه تصبّ نيران حقد، دمعي لم يخدش جدار قسوته، زهق روحي قبل سفك دمي" أرحني، أسرع".

تاهت النظرات وحدّقتْ حيث المسكينة تنتحب:لم تنظرين إليّ؟ من أنت؟ لمَ تتكومين في الركن باكية، أنت الساقطة، من هو خليلك؟ اعترفي، سأذبحك بالعصا، بل بسكين خالي، لكن أين خالي! ضربتها بالعصا: البنات انحرفن، أختك الساقطة في فراشها رجل في الغرفة المجاورة، سأستدعي خالي ليذبحها، يدها اليسرى تلوّح بالنفي.

الذكريات تتدافع كموج آتٍ من ماضٍ سحيق، وتضطّرم في الذاكرة أهوال" تشهّدي، أنت موصومة بالخطيئة، سأذبحك"، اليهود قادمون ويذبّحون الناس، إطلاق نار، بدرية عند السفح، ريح الرهوة يشدها للقاع، تركها الخال ليدافع عن بلدته، وانتظرته ليعود ويطهّر شرف العائلة، ذهلت أمّي"أأنت على قيد الحياة" هربنا للشمال وقتل اليهود خالي وجديلتي بالقاع، ضاع خليل في التيه، ناح قلبي على وليفي.
صوت خلف الباب: جدّتي افتحي، أطلقي سراحها.

PDF-XChange
Click to buy NOW!
www.tracker-software.com

نظرات غضب: أنت تخرجين يوميا، دافعي عن نفسك، حرّكي يدك، لا تطعميني، لا تساعديني على الاستحمام، لم لا تثرثرين حروفك مبهمة، أنين خافت.

رانية لأمّها: أعطني مفتاح غرفة جدتي الاحتياطي لإنّها تضرب خالتي وتحبسها في الغرفة وتحكي حبّها لخليل، "الزهايمر" اكتسح دماغها إلا قصة حبّها، التي لها سطوة سحريّة على الذاكرة، قصص الحبّ في هذه الأيام سخيفة، الفتيات تغيّر حبيبها مع تغيير هاتفها.

الأم: افتحي الباب وأنقذي خالتك، يكفيها ما حلّ بها! *الجدة: أريد تأديبها وتأديبك، من ينام في فراشك؟*
أم رانية: ملعون أبو الخرَف، هذا زوجي "علي".
رفعتْ العصا: لم أجنّ، أختك لا تخدمني، لا تكلمني!
: أختي أصيبت بجلطة دماغيّة، أخرستها وشلّت يدها ونأخذها لطبيب العلاج الطبيعي، ارحميها، خرفك سيأخذنا إلى متاهات الجنون.

PDF-XChange
Click to buy NOW!
www.tracker-software.com

١٧- وتوارى عند المنعطف

الصمت يلّف الجدران، توجّهت لمرآتها لتسرد أحداث يومها، تشدّ المرآة على يدها: أنت المشرفة المطلقة في المصنع، حافظي على حزمك لتسود هيبتك، قطّبت جبينها: مرآتي، لم تعودي تتغنين بغرور " أنت الأجمل، تمهّلي سيأتي الخاطب الأفضل هذا لا يستحقك" مرت السنون، لم يأت للآن.

في المصنع باشرت الإشراف عليهنّ وأصدرت قوانين حازمة خاصة بها لضبط سير العمل، منعت الاختلاط عند الرواح، سمعت ضحكاتهن، بحزم: لا أريد سماع الثرثرات التافهة، اعملن بصمت! رنّ الجرس معلنا انتهاء الدوام، قادتهن إلى خارج المصنع ثمّ توجهت كلّ عاملة نحو طريقها، استند هناك إلى عمود الكهرباء يراقب جموع العاملات، رجل وسامته وضاءة، ابتسامته كشعاع اخترق دهاليز عتمة نفسها،بادرت لمرآتها، ومسحت غبار السنين المتناثر فوقها، وتماوج بريقها.

همست المرآة : ابتسم لك اليوم، وأطرقتْ خجلا.

ردّتْ حيرى: الشباب ولّى، ويصغرني بسنوات.

: بل ثقي بي، لا تخافي، إنّه شباب القلب.

:الحبّ لا يعترف بالفوارق العمرية، وأنت ما زلت جميلة، لكنّك تحتاجين بعض الترميم، تقويم الأسنان، سدّ تغضّنات الوجه، وتخلّصي من النظارة الطبية!

: مرآتي العزيزة، كلّ الترميمات التجميليّة ممكنة.

PDF-XChange
Click to buy NOW!
www.tracker-software.com

بعد أيام قادت جموع العاملات، ورأته في المكان ذاته، الصـ
البهيّة، العينان يتماوج فيهما بريق أخّاذ، ابتسامته كندى فجر أينع زهور نفسها العطشى لقطرة حبّ، غذّت الخطى إلى المنزل وجددت بريق المرآة: اليوم ابتسم بعذوبة وغمز برقّة، أيكون عاشقا؟

ردت بحماس: لِمَ لا!اهتمّي بأناقتك، ملابسك لا تناسب موضة اليوم، غيّري لون شعرك لإخفاء الشيب، ارتدي البنطال الضيّق، والكعب العالي، وجددي مساحيق التجميل التي اجفّت في أوانيها.

: إنّ إجراء تغييرات تجميليّة تعيد بريق الربيع.

بعد أيام ابتسم وغمز ولوّح بيده، أشرق الأمل وانتابها الخجل، توارت في الزقاق، ثمّ التفت خلفها متسائلة "لم يتبعني ويكلّمني، أين اختفى! وسرحت في

لقاءات وهميّة وحلم جميل، وها هي ترتدي فستان الزفاف المتوهج باللآلىء، شغّلت المسجّل، ترّنمت المطربة "مستنياك" وتمايلت تراقص خياله، انتشى القلب وحلّقت الروح في متاهات العشق الورديّة، ثرثرت العاملات "لعلّ كهلا يدقّ الأبواب" المرآة تؤكد "إنّه شاب،الحبّ لا يعترف بالفوارق العمريّة".

حبّها له فاق أحلامها وأغرقها في متاهته، أضحى اللقاء ضرورة، لكن كيف ستبدأ الحكاية! ستنتظره هنا عند المنعطف وستعقد ميثاق الهوى، اختبأت بين أغصان شجرة الكينا النائمة بوهن على كتف الزمن، سمعت وقع خطىً، أطلّت لتفاجئه، رأته معانقا لشابة من المصنع، دوّامة ريح عاصف أغبشت عينيها واقتلعتها لتتسمّر أمام المرآة، التي حطّمتها بزجاجة عطرها: خدعتِني ببريقك، جاء وبرفقته أخرى،

PDF-XChange
Click to buy NOW!
www.tracker-software.com

كانا يتهامسان، يتمايلان، يغرقان في بوتقة الهوى، أوهمتني أنّ حـ
قد يـأتي فـي خريـف العمـر، الربيـع يـأتلف الربيـع وينصـهر فيـه،
أعذريني يا مرآتي، كان حلما برّاقا مرّ كطيف شفيف على قلب ما
عرف إلا الوحدة، فأمطره بوابل من السعادة فأزهر ياسمينا، لقد
خدعتني بأحلامي، رأيته وعشقته، لوعلم أنّ كلّ كلمة حبّ أهمس بها
هي له، لو أدرك مدى شوقي وحنيني إليه ما توارى عند المنعطف.

الأشياء الجميلة يختزلها الزمن، كزهور الربيع البريّة تجفّ مع
وهج الشمس، واحتفظَ خيالي بأروع قصة حبّ، لو التقيت به لهمست
له: سيظل حبّي لك وأحلامي معك أجمل ذكرى لما بقي من عمري،
لن أنساك ما حييت، سمعت نشيج بكاء نظارتها الطبية: سامحيني لقد
أوهمتـك بابتسـامته وغمـز عينـه وتلويحـة يـده، لكنّـي ذكّرتـك
مرارا:صححي مجال الرؤية في نظارتك الطبية، *لأنك تعانين من
انحراف بصريّ*، حتى لا تتعذبين تحت سياط الوهم.

PDF-XChange
Click to buy NOW!
www.tracker-software.com

تبادلا التهم والملاعنة في عراكهما اليوميّ، صرفت انتباه أولادي عمّا يحدث في الشقة المقابلة بالاستعداد لمشوار، لتظلّ صورته نقيّة في وجدانهم، انطلقت بسيارتي راضية عمّا حققته لذاتي بعد انفصالي عنه، وجوده دمّر كياني، قناعته أنّه صاحب القرار ، ولا يتقبّل الحوار، موروثه الاجتماعيّ يتبلور في عبارات يكررها " شاوروهن وخالفوهن، من يستمع إلى رأي امرأة فهو امرأة، ليس لك إلا أن تخدمي الأولاد، وإن فعلت كذا، أنت طالق، ووو.."

شعاره "أنا السيّد المطلق، أنا الرجل" يثور ويغضب لأتفه الأسباب، ويضربني لأدنى مقاومة أو اعتراض، وكلماته الجارحة "أنت زوجة مؤقتة سيأتي وقت أجد زوجة تناسبني" وأثناء مشاهدته للراقصات أو المغنيات في التلفاز يردد ساخرا "لا اعتقد أنّك تنتمين، لجنس الإناث" رغم جمالي وأناقتي.

يوم خطبني بهرني بقوة شخصيته وثرائه، وخلتهما سياج الأمان لحياتي، لم أميّز بين الاستبداد والهيبة، وفي قفص الزوجية تحوّل إلى أسد هادر، صلابته قطعت سبل التفاهم، وبات شبح الطلاق يناورني، وعلاقتي به بنيت على الخوف منه، بتُّ أخجل من ضعفي واستسلمت لوهن كينونتي والتزمت الصمت لتوفير جوّ أسريّ هادىء نسبيّا للأولاد لحمايتهم من غضباته.

جاء الفرج، حين طرقت بابي امرأة جميلة "أنا جارتك دعوت نفسي لتناول القهوة وللتعرّف عليك!"

PDF-XChange
Click to buy NOW!
www.tracker-software.com

رحّبت بها، أذهلتني حركاتها المغناج، حدّقت في الصورة الجدار.

"مؤكد هذه صورة زوجك" أردفت بغواية "يعجبني الرجل طويل القامة مفتول العضلات ،إنّه مثير جدا، أليس كذلك" تحسست الكدمات وتناسيت صدى كلماته المؤلمة وتذكّرت وصيّة أمّي " الزوجة المثالية لا تبوح بأسرار بيتها" وأجبت بوهن: إنّه مثير حقا، محبّ وحنون ولطيف ووو..

سددت إليّ نظرة ماكرة:هل هذا واقع أم ما تتمنينه! وتابعتْ "طُلقت مرتين، وأعيش وحيدة، لأنّ أهلي يعاملوني بقسوة" وتذكّرت حديث الجارات عن الأموال التي كسبتها من طلاقها، ساد صمت بيننا، وفتحتْ موضوعا للحوار "أحبّ حديث الأبراج وأفهم خصائص الإنسان من برجه، ما برجك؟"

رددت بغرابة: برج الحمل!

: خصائص برجك تؤكد وجود طاقة احتمال عالية صبورة، أمّا صفات برجي العقرب، مثيرة تعشق وتغار وتكره بحدة وتنتقم، وما برج زوجك؟

أجبت مندهشة: الأسد، لكن لمَ تُبدين اهتماما بزوجي؟

: مجرد فضول، إنّ خصائص برجه تؤكّد أنّه يحبّ السيطرة والاستبداد والطاعة المطلقة، أليس كذلك؟

: يعاملني كسيدة وأنا لا أصدّق الأبراج.

كنت مثاليّة، لكن ينقصني خاصيّة اللّعوب، التي ترضي غروره.

تكررت زياراتها وحدّثتني عن حياتها وأدهشتني وقاحتها من خلال تعاملها مع طليقيها، سمعتني مرة أكلّم زوجي تلفونيا وبدوتُ كفأر يلاعبه قطّ شرس، فرقعت ضحكتها "ما هذا الرعب، لو أنّ زوجي استرجل عليّ لعاقبته أقسى عقاب، رددت"امجنونة أنت!"

PDF-XChange
Click to buy NOW!
www.tracker-software.com

حدّثت زوجي عن وقاحتها وخلته سيمنعني من استقبالها وإذ بـ
يطلب التعرف عليها، الوساوس نبشت رأسي، ودعوتها للسهر معنا، تبادلا نظرات الإعجاب وإذ بالأسد الهادر يبدو كقط وديع، وسوسني الشيطان وطرأت فكرة برأسي، فتركتهما وحدهما لتحضير الضيافة وتأخّرت متعمدة، لأدقّ أول مسمار في نعش جبروته، في اليوم التالي كلّمتُه من هاتفها لنفاد رصيدي، عنّفني" من أي هاتف تحكي؟" تدثّرت برداء الخوف الوهمي" من تلفون جارتنا، تنهّد بارتياح" لأولّ مرة بتفكري صح! همست لنفسي" فعلا بدأت استخدم شيطاني".

طلبت منها مرافقتنا لنزهة، وتهيّأت وأنا على يقين من موافقته، وكان يرفض "لن أرافق زوجة وأولاد في مشوار" فاصطحبنا والتمعت البسمات في وجه كأسراب طير وحطّت الغربان في نفسي تنعب بآلام، انصهرا في بوتقة الحديث والضحك، وكلمّا أتصل به أجد تلفونه مشغولا مع تلفونها، لقد وقع في المصيدة، وأضحى ساهما في أجواء العشق السرمدية، وانسلّ من حياتنا وكلمّا أطلت سهام الغيرة من نفسي أكسرها وأقول اصمدي آن أوان العقاب.

استمتعت بالهدوء النفسي إلا من بعض خربشات الغيرة الفطرية، وزالت قيوده وأضحت لاءاته نعم، أقبل وهو مرتبك وكلماته حائرة، وتوقعت ما يريد، ورمى بقراره المنتظر: أريد أن أتزوج! وأنت لك بيتك مكرّمة معززة، وستصلك نفقتك، رددت" قبل حبّك كنت مصبّا لغضباتك والآن كدابّة تهيئ لها الطعام والبردعة".

PDF-XChange
Click to buy NOW!
www.tracker-software.com

لحظتها ادّعيت الغضب والحزن وأمنيتي رؤية صور الذل الـ
لهيبته. ولم يدر أنّي بعته للكاسرة بأرخص الأثمان، وافقت وفرضت شروطي "أريد الطلاق شرط أن تسكن في الشقة المقابلة حتى يستطيع الأولاد رؤيتك، وأريد تنازلا منك موّثقا في المحكمة عن الأولاد والشقة والمتجر الذي سأعمل فيه ليوفر لنا النفقة "تردد مدعيّا وفاء العشرة، وبلحظة ضعف "موافق، المهم نرتاح".

رافقته لخطبتها آملا بألوان السعادة، ورقصت في عرسه رقص الخلاص والكلّ مذهول مني، وذاتي تطمئنني أن الرجل الأسد النكد اختاري له المرأة التي تستطيع أن تقلّم مخالبه وتدمر هيبته، راقبته، يصدُع لأوامرها حاملا لنفايات معيشتهما، انتهى شهر العسل وتعالت الأصوات، انقطع عن زيارتنا، عند عودته لاحظت بقعة منتفخة في جبينه، أدركت أنّ الحذاء لعب دوره، ضحكت في سرِّي، انتابه قلق حول تحركاتها، يزورنا متدثرا بالحسرات ليرانا نعيش بسلام، انطفأت هيبته، نصحتني أمّي"ظل راجل ولا ظل حيطة" رددت "هو بقايا انسان حتى ظله لا يصلح للاحتماء به"

جاء لزيارة الأولاد، سألته: أما زال برجك الأسد؟ صاح بملء فيه: بل الحمار، كيف استبدل الشيطانة بالمرأة الصالحة؟ وضرب رأسه بقبضة يده وتوسّل العودة، رفضت، أردته أسدا بقلب حمل وديع، لكنّه لن يتغير، عاد إلى أهله خاوي الوفاض وقد استولت على أمواله وممتلكاته بدهائها، وسألت نفسي هل ظلمته حين أوقعته في المصيدة؟ ومن الخاسر فينا؟ هل خسرت زوجا وأبا لأطفالي بسبب ضعفي أم بسبب جبروته وضيق رؤاه، ولن أكون كما يريد!

PDF-XChange
Click to buy NOW!
www.tracker-software.com

١٩-أنا وهو والثانوية العامة

الامتحانات تدقّ الأبواب بعنف والكتب الدراسيّة ترجوني اقتحام قلاعها لتحقيق النجاح، شحذت الهمّة وخططت لبرنامج دراسي محكم وانتابتني نشوة الانتصار على قدراتي، واستلبتني غفوة تحت شجرة التوت ثم صحوت على صوت من بين الأوراق، وزّعت نظراتي باحثا عن مصدر الصوت، فزعت منه، إنّه جرذ كبير يحاول الاقتراب من كتبي المكدّسة، فتساءلت" ماذا يريد من كتبي، هل يريد الحصول على الثانوية العامة أيضا، أم الجوع قرصه فيرغب بقرضها، وإن قرضها هل سأنجح في الثانوية؟ نهرته غاضبا لعلّة يفرّ خائفا، لكنّه تسمّر بمكانه ورشقني بنظرات مرعبة، يا لوقاحته! ماذا يريد؟ أهو مسكون بجنيّ كما تقول حكايات أمي؟ فكّرت إطلاق ساقيّ للريح، لكن لن أترك له الساحة يعربد بها وحده.

تذكرت النصلة الحادة التي أحتفظ بها لعراكي مع أترابي لأجل فتاة ما، أو من أجل مساندة الأصدقاء حين يتهجّم عليهم أعداء الحارة الخلفيّة، سحبتها بدقّة متناهية من جيبي وصوبتها نحوه فأصابت رأسه، فرّ هاربا واختفى، تيقّنت أنّه يموت الآن بعيداعني، ولن يعود.

أمنيتي إسكات أمي التي كلّما التقت عيناي بعينيها تأمرني"أدرس"، وترددها بعينيها قبل لسانها، خلال العام الدراسي لم أفتح كتابا، ولم انتبه للشرح، واشترك مع أصدقائي في تدبير مقلب للمعلّم أو لأحد الطلاب المجتهدين، أو أرحل بخيالي خارج أسوار المدرسة مؤملا لقاء إحدى صويحباتي،أخبرت أمّي أني أنجزت

PDF-XChange
Click to buy NOW!
www.tracker-software.com

أعظم مهمة، وهي خطّة البرنامج الدراسيّ، ولا بدّ من الخروج للترفيه عن نفسي، دعت لي بالتوفيق ورجتني بذل أقصى جهد لتحقيق النجاح، ووعدتني بهدية مجزية إن نجحت.

في اليوم التالي فتحت كتاب اللغة العربية لأقرأ قصيدة أبي فراس "أراك عصيّ الدمع" لم استطع المتابعة وتأففت" بأيّ لغة كتب قصيدته وكأنّها لغة السنسكريت، معانيها عصيّة على مداركي" حدّقت في ثمار التوت الشهية،التي قد تفتح شهيتي على الدراسة فتقافزت من غصن لآخر حتى شبعت ثم غفوت تداعب جفوني نسائم الربيع الناعمة، وتدغدغ أحلامي أماني المستقبل الجامعي المشرق.

صوت صرصرة أيقظني، ورايته يحدّق بعين واحدة على مقربة مني، ضحكت حتى انقلبت على ظهري: قد نالت إصابتي عينك اليسرى، ونلت شرف اللقب الرفيع "الجرذ الأعور"، هذه العاهة ستعينني على قتلتك، ماذا تريد؟ هل تحفظ قصيدة أبي فراس أم تحلّ مستعصيات الرياضيات؟ وطاردته من زاوية إلى أخرى راغبا في قتله، لكنّه اختفى، فاستأذنت أمي: سأخرج قليلا مع أصحابي لأرفه عن نفسي عناء المطاردة، أقصد الدراسة.

تنهدت: الله لا يضيعلك تعب يا ابني، وطالت الاستراحة إلى منتصف الليل مع أصدقائي كلّ يحدث عن إنجازه العظيم في تخطيط برنامجه الدراسي، انتهت المدة المقررة لمادة اللغة العربية لكنّ البيت الأول من قصيدة أبي فراس لم يخترق حافظتي لو اجتازها لانسابت القصيدة بتلقائية إلى تلافيف الذاكرة، والجرذ الاعور اللعين يناورني.

PDF-XChange
Click to buy NOW!
www.tracker-software.com

هجمت على الفيزياء هجوم الصناديد لكنّ المسائل كالأحبابي

شكوت لأمي: الفيزياء صعبة لا أفهم شيئا! اريد مدرّس خصوصي.

:لكنّ أجرته غالية، من أين؟

: أيّهما أفضل أن يزيّن السوار معصمك أم تزيّن شهادة الثانوية غرفة الاستقبال وسأبذل أقصى جهد.

لكنّ جدار ذاكرتي صلب لم تخترقه أيّ مسألة، وتوالت الأيام والجرذ يناورني يوميّا، وفي يوم سبقني اللعين إلى كتبي المنتشرة بدلال تحت شجرة التوت ونسيم الربيع العليل يداعب وريقاتها، والتهم نصف كتاب الثقافة العامة، ثارت حميتي، كيف استطاع اللعين قرض تاريخ البشريّة وهضمه، لقد أراحني منه لأنّي لا أفهم شيئا، وقعت الطامّة الكبرى واقترف الجرذ جريمة بحقي حين خطف البرنامج الدراسي وصار هدفي استرجاعه وأعددت الأفخاخ للإيقاع به، أخبرت أمّي، بأنّي مشغول بالبحث عن البرنامج الدراسة.

مرت الأيام والحرب لا ينطفئ إوارها بيننا، أعدّ الأنصال لأطلقها عليه وهو يراوغني ويفر هاربا، وأخيرا اخترق النصل رأسه وأعلنت: انتصرت عليه، لقد قتلته وتكوّم بشكل مقزز، وانتهت الامتحانات بموته، وسردت على أصدقائي قصة صراعي مع الجرذ الأعور، فيضحكون ساخرين منّي، وظهرت النتيجة ورسبت رسوبا مشرّفا وهجم أبي عليّ ليضربني، قلت: لست مسؤولا عن الرسوب، إنّه الجرذ اللعين الذي سرق برنامج خطة الدراسة، فسألني: وهل نجح الجرذ في امتحان الثانوية!

PDF-XChange
Click to buy NOW!
www.tracker-software.com

٢٠- كان الثمن غاليا

هو : هل اشتريت سجائري، تأخرت كثيرا؟
هي : العمل كثير في منزل مستخدمي، لقد اشتريت حاجتنا طعام الأولاد وحلوى للصغيرة، لأنّها تطلبها منذ شهر، الفلوس لم تكفِ.
صاح بعصبية: يا بنت الكلب، هل اشتريت سجائري؟
*خلعت منديلها وهي مضطربة: اشتريت سترة صوفيّة لمهنّد لتقيه من البرد أثناء ذهابه للمدرسة.
*خلعت بلوزتها... شدّ ذراعها: هل اشتريت سجائري؟
هي: أتغضب لو أخبرتك إنّ صاحب المنزل شدّني لفراشه لكنّي قاومتة فتوعدني إن لم استجب لرغباته، سيطردني من خدمة بيته!
هو: هذا هراء، هل اشتريت سجائري الأجنبيّة؟
ألقى الصغير برأسه على صدرها دامعا وبيده طبق فارغ وملعقة: أنا جائع لم آكل شيئا منذ الصباح!
هي: لكنّي جهّزت طعامكم منذ الفجر!
مهند كسير: أصحاب أبي أكلوه أثناء لعب الورق.
صاح بعصبية: يا عا.... هل اشتريت سجائري؟
*خلعت تنورتها الطويلة... : سأجهّز طعاما للأولاد.
صوته كفحيح أفعى: أتعلمين أن (كروزالسجائر) لا يكفي ليومين؟
هي: كان ممكنا لو لم اشتر احتياجات الأولاد!
توالت الصفعات: يا عا.. تتغافلين عن سجائري، عليّ الطلاق لا تنامي في بيتي الليلة، أخرجي يا كلبة.
هي: كما تشاء، سأخرج، لكن دعني أرتدي ملابسي.
: بل كما أنت، عقابا لك لأنّك آثرت احتياجات الأولاد عن سجائري!

PDF-XChange
Click to buy NOW!
www.tracker-software.com
PDF-XChange
Click to buy NOW!
www.tracker-software.com

النظرات مضطربة والحروف مرتجفة: أريد شالا أستر كنت العاريين، كيف أخرج بالقميص الداخلي!

فتح الباب ودفعها خارجا، مشت بمحاذاة الجدار وتوارت بركن الزقاق الذي يطلّ على الشارع العام، تكوّمت كجرذ يترصّده قطّ ، ودمعها يغسل وجهها، ضوء سيارة قويّ تسلّط عليها، أخفت رأسها بين ذراعيها، وقع أقدام تتجه بثبات وضوء كشّاف مسلطّ نحوها: من هذه؟ يبدو أنّنا أمام حالة مشبوه جديدة، لمَ كثر الفسق في المدينة؟

الدمع يخنقها: لا، لست من قاع المدينة، طردني زوجي من بيته ومنعني ارتداء ملابسي، استروني.

: ضع القيد في يديها وأحضرها إلى سيّارة الشرطة.

حضر الزوج وأكدّ أقوالها مفتخرا بسطوة ذكوريته، عوقب بالسجن لفعلته لمدة شهرثمّ أطلق سراحه.

قالت معتذرة: آسفة، لما حدث لك بسببي، لم أتوقع أن تُسجن!

:أخرسي، لمَ أخبرتهم بما حصل وتسببت بسجني؟ لو ادّعيت أنّ مجهولا اغتصبك في الطريق وسرق ملابسك، لا أريد عا... ببيتي!

: لا أهل لي هنا، أعطني جواز سفري لأعود لأهلي.

: كما تشائين، ولكن ستدفعين الثمن غاليا!

أحضر جواز سفرها، وأحرقه بلؤم وهي ترجوه أن يسامحها " اخرجي من بيتي" وأنهال عليها ضربا والأولاد تبكي وتصرخ. خرجت إلى الطريق، وسجّلت محاضر شرطة الآداب سقوط امرأة في قاع المدينة!

PDF-XChange
Click to buy NOW!
www.tracker-software.com

٢١- محرقة كاتب

دوّامة التفكير تحلّق بي بعيدا، رنين الهاتف يعيدني إلى واقعي"ألو، نرجو منكم سحب كلّ نسخ رواياتك، لا متسع لها في مستودعات دار النشر وزّعها بمعرفتك، شكرا" إنّه مأزق، عشر روايات اقتنصت تكلفة طباعتها من احتياجات أسرتي، بعت القليل منها، أين أخزّنها وكيف أسوّقها!

اقتحم ابني حيرتي: أبي أريد شيئا وأرجو الموافقة.
: اطلب ما تشاء، لكن لا تطلب مالا.
: أريد غرفة مكتبك، لأنّي أنوي الزواج لأسكن فيها.
صفعته: اخرس يا ولد، تريدني التخلّي عن صومعتي الأدبية والفكرية لتتزوج، أنت ولد جاهل، انصرف!
: لستُ ولدا، عمري خمس وعشرون سنة، مرّ الزمن عليك وأنت بين شخوصك الوهميّة ومؤلفاتك، ولم تدرك أنّي صرت رجلا.
الزوجة: لو كان لي ضرتان أهون عليّ منها، قد نستمتع بالتنافس على إرضائك، لكنك موجود وغير موجود.

الصفعة أغرقت دمعه وأعادت كينونتي التي تاهت مني، ماذا فعلت؟ ثلاثون عاما لاهثا وراء الشهرة الأدبية، أبنائي صاروا رجالا ولم أشعر بهم، أحلامي تخطّت شهرة نجيب محفوظ وغيره، ولكنّي مازلت مغمورا، ولفتني أوهام الكبر فلم ألبِّ نداء أهلي أو جيراني بأمر اجتماعي لأنّي المبدع، وهم الجهلة الذين لا يفقهون شيئا.

PDF-XChange
Click to buy NOW!
www.tracker-software.com

تقوقعت في صومعتي، أحاور الأدباء، وأعيد صياغة روايتي مرات لأرتقي بالأحداث وبالصيغ الأدبية والفنية، لكنّهم اعتذروا عن طبع روايتي على نفقة مديرية الثقافة لأنّ الجملة الفعلية في صفحة كذا يجب أن تكون اسمية، وتكرر كلمة مؤامرة، أرجوهم إزالتها، لأننا نعيش عالما رديّا، ولأنّ كتاباتك تقليديّة تعاني داء الواقعيّة، أهي مافيا الأدب! وأضحى الأدب مثل تقليعات الموضة كلّ يقرأ ما يناسب رؤاه وهواه؟ ونحن أمّة لا تقرأ ثري الفكر بل كتب الأحاجي وتفسير الأحلام والطبخ والأبراج...

انتسبت لاتحاد الأدباء، صافحت المشهورين وخلتهم يخافون استلاب نذرا من شهرتهم، أجامل هذا وأتملّق ذاك، نغوص نقاشات في رحى الأدب ولا أنال غبار إلّا الطحن، استمع لثرثراتهم، غمز ولمز وغيبة، فلان عبقت شهرته الآفاق لأنه قصّ معاناة شعب وهو يعيش في قصره لأنّ هناك من يكتب له مقابل أجر، وهذه تتلون معانيها وكأنّ أقوالها وصايا لقمان، وذاك إن عطس يعدّون رذاذه جوامع الكلم، وتلك تكتب سفيه الكلم لتخدش حياء اللغة وتستعرض غرامياتها مع الساسة للدفاع عن قضايا الوطن، وهذا أرسطو زمنه لأنّ كتاباته مبهمة غرائبيّة ويعدّونه إبداعا وذاك اقتنص تاريخا حديثا من كتب التاريخ ولا يتكلّف صياغة جملة واحدة، ليطبعه على نفقة المديرية لوساطته المهمة.

أضحت مؤلفات الشعراء تضاهي "ألبومات" المطربين، والغناء مكتسح الآذان والكتب في أغلفتها لا تُقرأ، ومنهم تصطف كلماته بلا إيقاع أو معنى وتتوه في طلاسم التفاهات، وبعضهم يستلب لبّك ويوجعك بنداءاته ليوقظ الوجد بصدق مشاعره، ويأخذك إلى عوالم سرمدية براقة من التفاعل الإنساني.

PDF-XChange
Click to buy NOW!
www.tracker-software.com

صحوتُ صحوة أهل الكهف، وطلبتُ من أولادي حمل الكتب إلى الحديقة، وبدأت المحرقة وتألّق الفرح وغرابة السؤال في عيونهم من خلال بريق اللّهب وكأنّ أباهم عاد لتوه من غربته الفكريّة، "حرقتها لتسامحوني، ولأنّكم كهذا الجيل لا ترغبون بالقراءة" والتهمت النيران مؤلفاتي ومؤلفات الذين أبهرتني إبداعاتهم، مثل جبرا وغسان وماركيز وكافكا وو...

وتنازلت عن غرفة المكتب لابني مرددا" بارك الله بيتا ينشأ منه بيت جديد" وغمرت الفرحة زوجي إذ حرّقتُ شرَّ أعدائها، ولأنّي لم أر فيها إلا مربية للأولاد واتصلت بدار النشر وطلبت منهم بيع كتبي للباعة المتجولة أو التصدق بها عليهم أو حرقها، لأنّنا أمّة كتابها بالآلاف وقراؤها بالمئات، وتنازلت عن الحاسوب لألعاب ولدي وحملت قلمي ليكون آخر المحترقين لكنّ ولدي الأصغر: لا يا أبي، نحن أمّة "اقرأ" سنعيد لأمتنا مجدها الذهبي.

لم أدرِ أحرقت واقعا مؤلما أم حرقت أحلاما! قارنت بين محرقتي ومحرقة "إبن رشد" بسبب رفضهم لفكره، لكنّ الاحتراق الحقيقي هو تخلّينا عن ثقافتنا والاهتمام بثقافة العولمة والتوافه، أهملنا الفكر البنّاء متجاهلين أعظم ثقافة عربية إسلامية بحجة التحضر والرقي، متى يُوثّق التواصل الفكريّ بين الكاتب والقارئ، لنُبدع فكرا قيّما لنعيد بناء حضارة عربية إسلامية متوائمة مع متطلبات العصر!

PDF-XChange
Click to buy NOW!
www.tracker-software.com

٢٢- لا أريد قطّا

كان هنا على السرير مستمتعا، استحم، تعطّر، اختال أمام المرآة كديك مغرور، حدجها بنظرة صقر: ناوليني قميصا يناسب البنطال، أنت تتقنين الكيّ، أتريدين شيئا، أنا على أتمّ الاستعداد لتلبية طلباتك.

: لا يوجد خبز،انتهى دواء الضغط وإن لم أتناوله يفتت الصداع رأسي، وقد أفقد توازني.

: ما أكثر طلباتك، تصرّفي، اطلبي من أيّ ولد في الشارع شراء خبز، لكن من النافذة وأيّاك أن تخرجي من البيت وإلّا عددتك ناشزا، تدبّري أمرك.

: الولد قد يستولي على القروش، لا أملك غيرها.

: أتريدين شيئا، أنا على أتمّ الاستعداد لتلبية طلباتك!

مترددا: معي خمسون دينارا فقط، كنت سأعطيك، لقد وعدت الأولاد وأمهم بنزهة لأنّها تعاني الملل.

هي : بالأمس تعشيتم في مطعم!

هو : لمَ تكثرين الكلام، السهرات للشباب وأنت كبرت في السّن، قد أعود بعد أسبوع، إن تذكّرت الدواء سأحضره، ما أكثر طلباتك!

:لكنّي احتاج الدواء، ألا تعلم في مكان ما! لو نام رجل في سرير امرأة يترك لها تحت الوسادة مالا!

صفعها: اخرسي، عيب ما تقولينه، أنا زوجك!

: وأنا أكرم من ذلك، لكنّي أقول ذلك من غيظي، احتاج خبزا ودواءً! أريد حقّي في النفقة!

PDF-XChange
Click to buy NOW!
www.tracker-software.com

: انا مشغول جدا، عندي مشوار مهم، أتريدين شيئا، أنا على ...
الاستعداد لتلبية طلباتك، النافذة مكشوفة، احرصي على أن لا يكون البيت مكشوفا للغير!

: سقطت الستارة واحتاج إلى مطرقة من أجل تثبيت المسمار، حتى لا يراني الجيران!

: ثبّتيه بأيّ شيء، لكن لا تخرجي من البيت وإلا عددتك ناشزا! صفق الباب خلفه.

انهارت باكية وتطهّرت بدمعها من اغتصابه لها، وتردد صدى صوتها في جنبات البيت: أريد خبزا، أريد دواءً، أريد مطرقة، أريد دفئا، أريد حنانا، أريد ظلا، أريد حبّا، أريد رجلا، لا أريد قطّا!!!

PDF-XChange
Click to buy NOW!
www.tracker-software.com

٢٣-المناسبة خاصة ولكن

جلست بقربه جذلى، مدّت يدها لترفع النظارة عن عينيه ليستمع إليها: بعد أسبوع لدينا ذكرى سعيدة نريد الاحتفال بها، أتذكرها؟

: أهي قريبة الحدوث أم بعيدة؟

: سنحتفل باليوبيل الفضي لهذه المناسبة التي مضى عليها خمسة وعشرون عاما.

أعاد النظارة وحدّق بأوراقه: أمجنونة أنت؟ أتريدين أن أتذكر مناسبة مضى عليها ربع قرن؟ وهل تستحق هذه المناسبة، ذكّريني!

: محقّ، يصعب التذكر أمام المسؤوليات الملقاة على كاهلك!

خلعت خاتمها ولوّحت به: يبدو أن خاتم زواجي قد أصبح ضيقا ويحتاج إلى تبديل.

: هذا شأنك، لا تشغليني بشؤونك الخاصة.

نادت على ابنتها غادة: اعتقد أنّ عيد ميلادك قد اقترب، لأنّه يصادف مروره بعد سنة من زواجنا.

رفع رأسه عن الأوراق وهزّ رأسه بالنفي، بعصبيّة: أتذكر قبل المناسبة بأسبوع فاز فريق كرة القدم البرازيلي، وكنت مولعا جدا بأداء هدّاف الفريق وقدمت لي هدية الفوز سوارا من ذهب وهي آخر هدية قدمتها لي وذلك قبل زفافنا بأسبوع.

:آه ،تذكرت، هدّاف الفريق البرازيلي،اسمه على طرف لساني سأتذكره، وأخيرا تذكّرت!

:المناسبة السعيدة، ما هي؟

: لا، تذكرت اسم الهدّاف!

: أنت يا زوجي العزيز أعجوبة هذا الزمان.

PDF-XChange
Click to buy NOW!
www.tracker-software.com

: أهـي حـرب الاجتيـاح، أو الزلـزال الـذي دمّـر القـاهرة، أو الحادث الذي نجونا منه بأعجوبة.

التوتر يزداد، مدّت يدها إلى جيب ثوبها لتمزقه: إنّها مناسبة سعيدة، لمَ تذكر الكوارث؟

ابتسم ببرود: والله يا حبيبتي لو دعوتني إلى حفل زفافنا من جديد لن أتذكر، فهمت، ماذا ترديـن؟

: احتفال بسيط، دعوة على العشاء، لتذكر اللحظات الحلوة التي شحّت مع السنين، والغاية تغيير الروتين الذي خنق أنفاسنا.

: كما تشائين هل أدعو أحدا؟

: اسمها مناسبة خاصة، بي وبك، لا تدعُ أحدا!

: اتفقنا، كما تشائين، سألبي رغبتك، أمرك.

جـاء اليـوم الموعـود، تزيّنـت واصـطحبها إلـى أحـد المطـاعم الفخمة، وهناك فوجئت أنّـه دعـا صـديقته التـي يعتز بصداقتها بعد فشل قصة حبّه لها وتحول الحبّ إلى صداقة، وخطيبته السابقة بعد طلاقهـا مـن زوجهـا، طلـب عشـاء فـاخرا وكانـت جلسـة حـديث للذكريات الممتعة مع صديقتية، واستأذن بأنّ لدية موعدا مهمّا قبل دفـع الفـاتورة، وتـركهن يثرثـرن، فضـحكن ودفعـن الفـاتورة وهـن يهنئن أنفسهن انه لم يكن من نصيبهن وأشفقن عليها.

عندما رجعت إلى البيت توجّهت إلى مكتبها لتخرج منها كراسة خاصة بها، تكتب فيها تأريخا للأحداث العظام في العالم معنونـة ب "حـدث فـي مثـل هـذا اليـوم" مثـل سـقوط قنبلـة علـى هيروشـيما وإعصـار تسـونامي، وهجمـات الحـادي عشـر مـن أيلـول وأضـافت تاريخا مأساويا " ذكرى زواجي" .

PDF-XChange
Click to buy NOW!
www.tracker-software.com

٢٤-التهمها الغلاء

البرد قارص، المطر ينهمر بغزارة، يدخل الأبّ بيته، يحمل بعض المشتريات لصغاره، لم ينس الجريدة اليومية التي يطلّ منها على العالم المليء بالتناقضات المحيّرة، فرح الصغار بأشيائهم، استعرض مكنونات الجريد، لكنّ الخبر بحروفه العريضة افترس ملامحه، فغر فاه دهشا.

أمّ علي: ما بك، أوقع هجوم على غزة، أم انفجار دمويّ في العراق أم صراع سياسي في لبنان؟

ردّ بعد أن أفاق من ذهوله واقتنص سبايا الكلام: بل ارتفاع مذهل في ثمن المحروقات!

أردفت باستهزاء: أرعبتني، لا تخف على قوافل السيارات المصطفّة على باب بيتنا.

:سيصبح ثمن اسطوانة الغاز عشرة دنانير.

تناثرت زفرات الغضب وتمتمات الاحتجاج من فيها تباعا، وأغلقت اسطوانة المدفأة، احتج الأولاد: البرد شديد، أشعلي المدفأة، لن نستمتع بالرسوم المتحركة : لا مدفأة بعد اليوم تدثّروا بالأغطية الصوفية لأنّه يمكننا شراء غاز للطبخ هذه إمكانيات الراتب وغداؤنا اليوم "مقلوبة شهية".

تعالت الأصوات فرحا، واستكانت الامنيات تراوغ الأحلام، وتنادوا "هيا نلعب" أسدلت نسرين عباءة أمّها السوداء، من قمة رأسها إلى أخمص قدميها، اسماها علي ب"غول الغلاء" وتراكض الأطفال في الغرفة خوفا من "غول الغلاء" الذي تخيّلوه لعل الدفء يدبّ في العروق، ألهبت رائحة "المقلوبة" شهوة الجوع، تجمّع الصغار حول المائدة لأخذ حصّتهم من الدجاجة، منهم من يريد الورك وآخر يبحث عن لحمة الصدر الشهيّة، الجناح للأمّ والرقبة للأب، قلبت القدر، صاحوا "أين الدجاجة؟"

PDF-XChange
Click to buy NOW!
www.tracker-software.com

الأم: هذه مقلوبة بلا دجاجة التي التهمها الغلاء،لكنّها شهيّة مع مكعب "الماجي".

رددوا ساخرين:الراتب لا يكفي، وأين اللبن؟

أبو علي: ارتفع ثمن العلف وطار سعر اللبن، سلطة البندورة والبصل شهيّة، ارفعوا أيديكم بالدعاء "نتمى أن تظلّ البندورة ولا يجتاحها الغلاء"، قطّبت ريما المدللة جبينها وامتنعت عن الطعام: يا ناس، في مقلوبة بلا دجاجة، ورز بلا لبن، ورسوم متحركة بلا مدفأة، ماما، أريد قتل الغلاء.

ضجّ المساء بواقع مريب، نام الجميع إلا ريما الصغيرة فالجوع والبرد سلباها النوم، والريح تعوي في الخارج تحرّك أشباح العتمة التي أيقظتها النواسة الضوئية، زحفت "ريما" صوب المدفأة الخرساء وفتحت إسطوانة الغاز التي خبّأتها العائلة لحالات البرد الثلجيّ، وأرادت إشعالها خفية، سمعت وقع خطىً في الصالة، التصقت بالمدفأ ولم تقدح الشرارة، لكنّ الحركة دائبة، تنّبهت الأم "رائحة غاز قوية ونفّاذة، من أين" فتحت غرفة الأولاد، وضغطت دون وعي مفتاح الإضاءة، فارتفع عمود اللّهب من المدفأة محتضنا بقسوة جسد الصغيرة.

حملوها للمشفى، يداها مكتوفتان، لا تنسدلان أبدا، وجه شوّهت النيران ملامحه الجميلة عيون تلتمع فيها أنّة البكاء، وأمّ ينتحب الصمت فيها جنون الصدمة "لم فعلت هذا" عينان اغرورقت ونظرات تتوسل"لست أنا، إنّه غول الغلاء" والتهم الغلاء ضحكات الأطفال وبراءة الرؤى الوردية، استراح الألم على الحدقات ليرسم أنّات عذاب قادم ويستلهم واقعا مريرا، ماذا تخبئ ياغلاء؟

PDF-XChange
Click to buy NOW!
www.tracker-software.com

٢٥ـ صدى الأحبة

صوت زعيقه اخترق طبلة أذنها الواهية، تثاقلت في مشيتها إليه، وأنّبته" لم الزعيق والقفص رحب، والبذور كافية، والماء وفير" طأطأ رأسه، داعبته فاستكان إلى لمساتها، ألفته، واسمته "كوكو"، تصغي لصدى ترنيماته، مقلّدا كلّ الأصوات، فتردد له الميجانا والعتابا وفي مغناتها حرقة فراق الأحبة، وإن ملّت صراخه تكيل له السباب، لتنفّس عن كبتها.

رنّ جرس الباب، فقلّد "كوكو" صوت الجرس وحركة فتح الباب، والقبلات، إياد: أمي، أتريدين شيئا؟ أومأت بالإيجاب "مشغول، قد أعود فيما بعد"، همست: لن تعود، قدومك اليومي الوجيز لتتأكد أنّ أمّك لم تمت، كي لا أتعفن ويلومك الناس، أسرتك أولى من أمك، "الله يرضى عليك"، تعهّدت الشجيرات، التي زرعها الحاج رحمه الله، شجرة مع ولادة كلّ ابن في الحديقة، وكأنّه يعلم أنّ الأولاد سيغادرون للاغتراب وتبقى الأشجار ذكرى لهم.

تجوّلت في ردهات البيت، تنهل الذكريات العبقة والجدران تزهر بصور أبنائها وعائلاتهم، ودمع الحنين يتقاطر، وجع الشوق يلامس الجدران التي تردد صدى نداءاتهم، هذه بندقية "خالد" الذي روى بدمه ثرى الوطن السليب، وأدمى القلب حسرات، وهذه أسرة هند في إحدى حدائق "مالمو" في السويد، وهذا عليّ وعائلته في أحد أسواق دبي، لقد جرفهم تيار الاغتراب القسريّ بعد الحرب الأهليّة، يزرونهم صيفا لقضاء الإجازة كسيّاح ويعدّون البيت فندقا.

PDF-XChange
Click to buy NOW!
www.tracker-software.com

غدا "كوكو" في ذاكرة الجميع وهم في ذاكرته، يجيد لهجاتهم ، وعند أوبتهم إلى أوكارهم الجديدة يتركون صدى أسمائهم أمانة لديه، ليسترجعها لحظات التجلّي الصوتية، فيثير شجونها، فتبتسم أحيانا وتبكي أحايين، وينثر الماء على ريشه، ويغرّد لحصوله على ركن في العالم وحفنة بذور وشربة ماء، وهذا كافٍ ليُناغي المكلومين.

تذكّرتْ نصح الزوج الراحل حين عاتبته: لِمَ تقضِ معظم وقتك مع أصدقائك، فيردّ:لم يعد بيننا حديث، ولن يبقى مؤنس لك إلا الببغاء، لأنّه رهين القفص وباقٍ لتسليتك، الأولاد استقلّوا بحياتهم وما أنا إلا كومة عظام تنتظرها حفرة.

كان يشعر بصحوها من النوم، فيردد تحية الصباح لكنّها اليوم لم تسمع صدى تحيته، دخلت دورة المياه وأعدّت القهوة، انتابها هاجس غريب واستبعدت الفكرة المؤلمة، وصلت الشرفة، انقبض قلبها، ألقت نظرة مضطربة على القفص وصدق حدسها، رأته مكتوما في الركن، نادته فلم يغرّد، وحملته خفيفا يابسا، صرخت صوتا وجيعا، وكان إياد يفتح الباب، أسرع إليها مستفسرا: ما الأمر يا أمي؟ فأشارت إليه، ابتسم مواسيا: أشتري لك غيره! فناحت: وهل غيره يستطيع استرجاع صدى الغائبين والراحلين، فاغرورقت عيناه دمعا وأدرك سرّ تعلق أمّه بهذا الطائر فوعدها بالإقامة مع أسرته.

PDF-XChange
Click to buy NOW!
www.tracker-software.com

٢٦ - قطّة الحيّ الأرستقراطيّ

كثيرا ما ضبطتها تسرق الطعام فاستاءت منها ولم تعد تصبر على سرقاتها لأنّها غير مؤتمنة على مكنونات الثلاجة، الأولاد يدافعون عنها إيمانا بمبدأ وجوب الرفق بالحيوان، ويؤثرونها على أنفسهم بأطايب اللحوم، مما أثار غيرتها، ولن ترضى لأيّ أنثى منافستها على حبّ أطفالها، فقررت إبعادها إبعادا حدوديا وبيئيّا، وأعدّت أقصى التدابير الوقائية كي لا ترجع إليهم، وبيّنت الآثار السيئة على صحتهم من وجودها معهم.

وضعت القطّة في صندوق محكم الإغلاق وركبت الحافلة باتجاه شرق العاصمة، وكلّما ماءت عنّفتها، فتهدأ على مضض، وأثناء مغادرة الحافلة مازحها السائق: أكرمناك ولم نأخذ أجرة راكب الصندوق، ثمّ استقلت حافلة أخرى باتجاه غرب العاصمة لأنّ خطتها محكمة للتوهان، وأطلقت سراحها في منطقة راقية مليئة بالفلل وأشباه القصور مهددة القطة "إيّاك والعودة".

نظرتْ القطّة معاتبة وتمرّغتْ عند قدميها راجية عدم تركها في مكان غير مألوف لاعتيادها حياة الحواري ومشاكسة الصغار وسرقة الطعام وإغاظة ربات البيوت الغافلات وأرادت اللحاق بها فزجرتها، فانزوت جانبا واستسلمت لمصيرها، فارقتها ودمعة موجعة تسكت ضميرها مقتنعة أنّ المصلحة العامة تقتضي منها هذا العمل.

PDF-XChange
Click to buy NOW!
www.tracker-software.com

راقبت القطّة المكان واقتنعت بوجوب التكيف مع الواقع الجديد وألحّ نداء الجوع فغزت حاوية القمامة فوجدت الكثير، لكنّ حنينا شدّها لأطفال البيت والحيّ وأوجعها الاغتراب فماءت بألم، ثمّ أخذت تبحث عن مأوىً جديد ولاحظت مخلوقة جميلة من بني جنسها وتميّزت بأناقة الأثرياء، الشعرالأبيض الغزيراللامع، أقراط الأذنين، طلاء الأظافر، ربطة حمراء في العنق وطرف الذيل، أحسّت بالفرق الشاسع في المظهرالعام المميز،اقتربت وحيّتها: نيولوك ميو،ميو.

استدارت باستعلاء: أنا "لولو" القطّة الشيرازيّة، من أين أنت قادمة، أيّ ريح قذفتك إلينا؟

بسبس: أنا قادمة من حيّ شعبيّ،لقد أبعدتني صاحبة المنزل عنوة لأنّي أشاركها حبّهم ولقيمات اللحم.

لولو: آكل ما أشتهي من الوجبات المعلّبة والسريعة (فاست فود)، استحم بالشامبو، ولي عطري الخاص، واتنزّه في سيارة صاحبتي إلى الحدائق والنوادي.

بسبس: هنيئا لك ما تتمتعين به في أجواء الثراء.

لولو: لكنّي لست سعيدة، أتمنى حياة القطط الطبيعيّة، سرقة الطعام الشهيّ، مشاكسة الأطفال، المناورات فوق أسوارالمنازل، وأمنّي النفس بمغازلة قطّ في شهر شباط مستمتعة بنظراته المستجدية لحظة عراك وأتمنّع وأفرّ هاربة من مكان إلى آخر.

بسبس: أتتركين الرفاه المعيشيّ من أجل مناورة حبّ؟

لولو: لا عليك، أتقبلين بالمبادلة؟

بسبس: لكن ما الذي يلمع في عنقك أوهوعقد ثمين؟

لولو : إنّها قيد، كي لا أتجاوز حدود الحديقة.

: سأتنازل عن حريتي مقابل هذه الرفاهية.

PDF-XChange
Click to buy NOW!
www.tracker-software.com
PDF-XChange
Click to buy NOW!
www.tracker-software.com

لولو: لكن ستُجرى لك عمليّة جراحيّة بسيطة للعقم في عيادة الطبيب البيطري، لن تشعري بألم.

بسبس: سأتعقّم بالمبيدات الحشريّة والاستحمام.

لولو: لا،لا أقصد التعقيم بل العقم،أيّ إزالة الرحم، كي لا تنجبي صغارا، عملية بسيطة لا تؤلم لأنّ صاحبتي ترغب بقطّة فتيّة ولن تقبل باختلاط الأنساب وعند هرمي تستبدلني بقطّة فتيّة باهظة الثمن.

بسبس: أتقصدين أن لايطاردني ذكورالقطط أيام شهر التزاوج، ولا أنجب لأمارس أمومتي الممتعة.

بسبس: لا، لن أرضى، سأتحمّل شراسة الذكور وأنانيّتهم وقهرهم لأكون أمّا، قد أجوع وأتشرد وأضرب بالأحذية والحجارة، لن أتنازل عن أمومتي مقابل الطعام الشهيّ والأقراط والتنزه، مسكينة يا قطة الأثرياء الشيرازيّة تبيعين أمومتك التي لا تقدّر بثمن من أجل أشياء رخيصة تافهة، كم أنت تعسة.

وتركتها وعادت تبحث عن بيتها في الحي القديم وعن حياة حرّة تليق بقطة طبيعية.

PDF-XChange
Click to buy NOW!
www.tracker-software.com

٢٧ - دموع فولاذيّة

رنّات المنبّه تضجّ برأسي، انحنيت لصنبور المياه لأوقظ بقايا النعاس، أسدلت جلبابي ومنديلي وانتعلت حذائي، وقفزت الدرجات كقطّ مطارد، المطر يعانق خصب ربيع قادم وأنشودة مطر السيّاب تئنّ في مخيلتي وقد حيّرني تحضيرها، انحشرت في حافلة تنتزع ركّابها من دائرة النوم إلى نهار حافل بالعمل كغول يبتلعهم من الأرصفة، وجوه ملونة بالفرح والحزن والطموح، كلمّا تماوج الركب لضغطة الكابح اقتحم راكب الزحام، فضول جعلني أرقب القادم!

قضيب فولاذيّ يخترق الحافلة وكأنّه سيف بتّار يصارع تقنيات الزمن، وإذ بيد صبيّ تمسكه، قادم من الزقاق، يلملم أشلاء الأرصفة، ثبات خطوه ملفت للانتباه، وجه اكتسحه البؤس كأنّه قادم من صومماليات الجوع العربي، بشرته داكنة، نظراته جريئة، غريب الأطوار في بحثه عن مقعد ، كأنّنا في زمن لا يترك أحد مكانا للآخر، قرفص ليزداد زيّه المدرسي قتامة.

انسابت نظرات السخرية والدهشة عليه، السائق بسخرية: أتريد بيعها في سوق الخردوات؟ وقال آخر: هل استوليت عليها أيّها المحتال الصغير من أثاث المدرسة أو من مخلفات بناء؟ ردّ آخر: ربما يبيعها لشراء سيجارة أو شمّة"آجو"؟ ضجّوا بالضحك، وانسابت دمعة قهر، لحظة تظهر فيها براءة المشاعر، الفتيات نظرن إليه بعين العطف "مسكين، بيحرق القلب"، وتدفقت عليه لمسات أمومة، فقدّمت إحداهن منديلا ورقيا ليمسح مخاط أنفه، وأخرى

PDF-XChange
Click to buy NOW!
www.tracker-software.com

ناولته حلوى فاستلبها الجوع إلى جوفه، وثالثة لمست رأسه بحنان فأطرق ساهما يسكب مداد حزنه وقلقه.

وقفة تأمّل تخلّد جراحات الإنسانية، ومشاعر تغتصب فرح طفولة بائسة، أيبيع القطعة الفولاذية لشراء احتياجات أسرته؟ راودتني أفكار سوداء، ربما يشتري بثمنها آلة حادة يؤذي بها أقرانه، ليسلك دروب الانحراف! وحمدت الله أن أولادي بخير، وتسمّرت أمامه رغم حاجتي لكلّ دقيقة، وخلت نظرات المديرة تلسعني لتأخّري عن الدوام، لكنّ فضول يدفعني لمعرفة أيّ شيء عنه، تدافعت أسئلتي إلى أذنيه كشلال وألجمني صمته ليرسو دمعه على شغاف قلبي، وبكيت لأنّي أشتهي دمعة دفينة وجعلت قلبي رهيفا على أحزان الإنسانيّة.

ارتطم الصبيّ عند نزوله بباب الحافلة فمزق قميص راكب بقطعته الفولاذيّة، فشتمه بعبارات جارحة ورفع جسده النحيل وألقى به خارج الحافلة، عبر الصبيّ الشارع بسياط الخوف، فصطدمته سيارة وتسببت بنزف وكسور، نقلته سيارة الإسعاف وهو يبكي مشيرا لقطعة الفولاذ، تساءلت أيّهما أغلى الروح المفارقة أم الدريهمات التي يبني أحلاما من مردود بيعها؟ تابعت طريقي والمطر ينهمر بغزارة دمعه ودمعي وأسئلة زاخرة تتفجّر داخلي وتنفث دخانا على حال بؤساء الإنسانية وتبحث في ممرات الحياة المظلمة عن شموع تضيء ظلمات دروبهم.

PDF-XChange
Click to buy NOW!
www.tracker-software.com

PDF-XChange
Click to buy NOW!
www.tracker-software.com

٢٨- أنا وهيفاء و الدجيتال

عدت من عملي وصوتها الدافئ وتأوّهاتها تشعل النيران في كياني، لولا لهيب الجوع لما تركت السيارة، وعبارة زوجتي المبرمجة "دقائق ويكون الطعام جاهزا" لتثير حسرتي لأنّ دلالات الأنوثة هجرتها بعد إنجاب الطفل الأوّل لمشاعر الأمومة، وحوّلها الزمن إلى آلة مبرمجة تتقن تجهّيز المتطلبات المنزلية، إذ لا فرق بينها وبين الغسالة الّا التنقل بلا وصلات كهربائية، وتذكّرت أمّي "خطبت لك عروسا قوامها كغصن بان"آه، إنّها اليوم كشجرة جميز.

دخلت غرفة ابني فوجدته غارقا في دراسة الهندسة الإلكترونية، اعتراني الفخر ورفعت رأسي حامدا ربّ العالمين، لكنّ صورة لها، بأنوثتها الطاغية صعقتني، وثغر يكهربك بألف نداء، كيف أهدئ غليان دمي! وهممت أن أهوي بقبضة يدي على رأسه، وابتلعت سبّة على مضض "يا ابن الكلب لِمَ صورة هيفاء في غرفتك"، وانسحبت مهزوما وصوتها الجهوريّ معلنا "الغداء جاهز" استلقيت في سريري رافضا أيّ نداء، راحت السكرة وتوالت الفِكَر، كيف نوقف الطوفان الهيفاوي الذي اكتسحنا، كيف ألوم ابني وقد زرعت مستقبل قنوات بكلّ غرف البيت، وكأنّي أزرع الفتنة بأركانه، لقد عرضته على زوجتي في المطبخ، لعلها تتأنث، ردّت بصرامة "لا أرغب بالمساخر لو قصّرت بعملي لحطمته فوق رأسي".

بينما تحملني الأفكار وتؤرجحني الرؤى بين معالي الفضيلة ومهاوي الرذيلة، ضغطت بعشوائية على جهاز التحكّم، فظهرت

PDF-XChange
Click to buy NOW!
www.tracker-software.com

تمايل على إحدى المحطات الفضائية وتغني "ليك الواوا" غفر لتحملني معها إلى عالم مذهل من الأحلام، فإذا بي أراقصها وارتمي عند قدميها واستجدي النظرة الطاغية لتحرق كلّ أعوادي، وصوت من أعماقي مثل قذيفة "يا هو، أنا في النعيم أرتع!".

وغرقت في لجّة المعاصي، وخيّل لي" أبو لهب" يرحّب بي في قيعان جهنّم، وتفرقعت كحبات ذرة على تنور لهب، وانقلب الحلم على الحالم وإذ بهيفاء تغادرني إلى شاب وسيم يطارحها ألوان الهوى، ونقرت رأسي لتسقط ما بقي من شعري، وغرست في كرشي المنتفخ دبوسا لتفجّر ما صنعه القولون في أحشائي، وركلتني، فتدحرجت مقهورا.

صحوت من الكابوس على صوت هدير يزلزل جدران الغرفة، إنّها زوجتي ترقد في السرير كشوال سكّر، أصداء شخيرها وصفيرها يتجاوب بين الجدران معلنا نهاية يوم عمل شاق، وحمدت الله أنّها لم تلج الحلم معي لشمتت بي، وحوّل الكابوس عيوبها إلى حسنات، فهي تتحمّل غضباتي، ولأوّل مرة أجهّز القهوة " هيّا عزيزتي، لنشرب القهوة" فاستيقظت مذعورة، ووضعت يدها على جبيني "لا يوجد حرارة، عليه العوض ومنه العوض، كأنّ لوثة أصابت عقله" وانسحبت بهدوء.

PDF-XChange
Click to buy NOW!
www.tracker-software.com

٢٩ - ترك يدا حانية

مظاهر العيد تعلن عن نفسها بجمالية أخّاذة صخب الشوارع وضجيج الباعة وثرثرة الأطفال لاستقبال العيدبفرح ورديّ وحسابات العيديّة الحائرة، وأحلامهم في قضاء لحظات ممتعة مع الأهل والأصدقاء، حديث الصبايا عن الملابس الأنيقة، والتسريحات الجميلة، واستعداد الأمهات لعمل الحلوى والتنهيدات الحائرة للنفقة العالية وسؤال الجيوب من أين"الله بدبرها".

ذكريات تجمعنا بأحبّة نأت بهم المسافات، أحزان تطلّ برأسها على الروح الوجيعة وتنادي من غيّبهم الردى وكانوا على مسرح الحياة يعانقوننا ويقدمون لنا الهدايا والعيديّات، منذ عام دقّ باب بيتي فأسرع الأولاد لاستقباله لأنّ صدى فرحتهم يؤكّد قدوم "جدّوالحاج" هو كعادته أوّل المهنّئين بالعيد لأنّ طلّته عيد، لسانه دافق بمعسول الكلام، وجه غارق في بحيرة حنان تفيض سكينة على روحي.

يده سخيّة في العيديّات وسبل الخير، ضحتكه ترنّ كشلال هادر، طواه الموت في الحياة البرزخيّة وندعو له بالرحمة، رنين الهاتف أخرجني من دوّامة الذكرى الحزينة "سلام، نرجو استلام حوالة مصرفيّة باسمك من خارج البلد، شكرا" قد يكون خطأ ما، لم تصلني حوالة من قبل، لكنّ الموظف يؤكدّ أنّها لي، توجّهت للمصرف واستلمت "ألف دولار" والمرسل أخي، حيّرني السبب، لم أطلب منه مالا، اتصلت على هاتفه: مرحبا، كيفك، ما هذه الحوالة؟
: ما بك، هل نسيت؟ إنّها عيديّة والدي المعتادة.

PDF-XChange
Click to buy NOW!
www.tracker-software.com

: والدي توفي منذ عام، وأخذت حقّي من الميراث!

: لكنّ عمله الصالح لم ينقطع، وصلته مستمرة إلى ما شاء الله، لقد ترك وقفا للصدقات، وآخر لبناته، أوصانا أن تكون العيدية عندكنّ في كلّ عيد، وأوصى بتكاليف علاجيّة لكنّ على حساب هذا الوقف، أدام الله عليكن الصحة والعافية وكل عام وأنت بخير.

تدفق دمعي حزنا على فراق المرحوم أبي الرائع الذي أراد أن يكون حضوره بالعمل الصالح مستمرا إلى ما بعد الحياة، كان صمّام الأمان لحياتنا بعد الله، وانحنيت لعظمة عطائه الدافق، حبّه لبناته لا حدود له بعد ان طوّحتهنّ بلاد الاغتراب، فكان حريصا علي صلتهن بأيّ وسيلة، كأنّه ترك يده الحانية لتخفف معاناة الألم، وتصافحنا في لحظة الفرح، بوفاته شدّني التيه إلى قيعانه، وأنا الأثيرة عنده، وعبارته الحميمة ترنّ في أذني:"أنا أنتِ يا غالية".

حدّقت في صورته التي تتصدر الجدار وأحزاني تتماوج داخلي بصخب، وخلته يترك الإطار ليحتويني بين ذراعيه ويطبع على جبيني قبلة دافقة بالحبّ، ويخفي دمعة وجيعة وعبارته المعهودة: ابنتي، أنت جرحي الذي لم يلتئم، وأنحنيت على يده لأطبع قبلة حبّ وولاء: كلّ عام وأنت بخير يا أغلى إنسان.

PDF-XChange
Click to buy NOW!
www.tracker-software.com

٣٠-أصداء رمضانيّة

كلّما أُعلن عن رؤية هلال شهر رمضان، يطلّ من ذاكرتي يشقّ عتم الليل معلّقا في رقبته طبلة يفجّر طرقها الأصداء ويضجر هداة الليل، حاملا قنديله الخافت لينير خطاه المتعثرة وعكازه التي تساند ساقه الوحيدة، ويردد ترانيم سكينة على قلوب المؤمنين ليوقظ النوّام للسحور،استنفرت ذاكرتي كوابيس احتلت مساحة من المخيلة لأفعال وهميّة لهذه الشخصّية والتي أحدثت شروخا في سلام طفولتي.

نداءات أمي توقظني لمساعدتها في إعداد السحور، معاناة جوع وعطش نهارا، وصور مرعبة ليلا، أرقبه من شقّ النافذة الخشبيّة، عملاقا يشقّ الظلام بعصاه ليضرب عفريت الليل، وترتعب أوصالي وانتحب حين تحلّق الريح بردائه المطريّ الواقي ذي القلنسوة المدببة عاليا، فتتراءى لي عصا الجنيّة الساحرة ستهشّم رأسي وتغدو الحكايا التي تقصّها أمي نهارا حقيقيّة ليلا.

حسبتْ أمّي هلعي خدعة كي لا أصوم، وتمتمت تعويذات لأهدأ، وزيّنت لي فضائل الصوم، لكّني لم استوعب إلا العيد وثوبي الجديد، فسمحت لي بالإفطار، وظلّ الرعب يسيطر عليّ كلما جنّ الليل، واستخدمت أساليب الترهيب والترغيب لتعرف سبب بكائي فاعترفت لها بهواجسي فضحكت لسذاجتي ورددت كلمتها المعهودة" بسيطة".

انشغلت أمّي في تجهيز كعك العيد، ودارت صواني الكعك بالمحبة بين الجيران في الأحياء العتيقة! وأشرق العيد، فلا صوم بعد

PDF-XChange
Click to buy NOW!
www.tracker-software.com

اليوم ولا كوابيس، استقبلت العيد صباحا بثوبي الجديد، وإذ بطرقات الطبلة ومدائح العيد تسبق نداءً "العيدية يا أهل الخير"، اختبأت خلف الباب باكية، وأصرّت أمي أن أقدّم طبق الكعك مع العيديّة للمسحراتي"لا تخافي، هذا عمّ بكر صاحب بقالة الزقاق الخلفي" ناولته ما بيدي بنظرة موارية وهدأت نفسي المضطربة.

حملت عيديّتي إلى بقالته، راقبته عن بُعد، ناداني، لم أرَعمّ بكرإلا وراء الطاولة، أدرك مغزى نظراتي الحائرة، فرفع سطحها الخشبي وتسمّرت عيناي عند ساقه الوحيدة التي دفن ثانيها في تراب الوطن السليب لتحكي حكايا النضال الوطني، وعكازه مستندة إلى جوار معطفه، ولمست بلور قنديله الشفاف"ابنتي، قلبك قنديل ينوّر بأزاهير السعادة ويغرّد نداءات براءة" وأعطاني كومة حلوى. ما احلى أيام زمان! كان لرمضان نكهة محببة وحضور حلو بالذاكرة.

اختزنت الذاكرة عبير الأيام الحلوة، وكمن الرعب الحقيقيّ في حرب أهليّة طحون قضت على الأخضر واليابس وتوالت العتمات والاشراقات في حياتي وتاهت الرؤى وما زلت أحنّ إلى قنديل يشقّ بنورالحبّ عتمات قلبي ويبدد الظلمة من أفقي وأبحث عن إضاءاته بين واحات الأمل ويعبق في ذاكرتي بومضات جذلى تعانق روحي التائهة، إنّه نور الإيمان يشرق في قلبي.

PDF-XChange
Click to buy NOW!
www.tracker-software.com

فهرس

رقم القصة	عنوان القصة	رقم الصفحة
١	عندما يعشق دمية	٨
٢	سراب في اللقاء	١١
٣	أليس هذا حبّا	١٧
٤	ما زال عطرك يبكيني	٢٠
٥	لم سفكت دمي	٢٣
٦	اليمين...وحكايا النافذة	٢٦
٧	فستان الخطوبة	٢٩
٨	لحظات مجنونة	٣٣
٩	دعوة للحبّ	٣٦
١٠	سبحة الأستاذ	٣٩
١١	ورمى زهوره عاليا	٤٤
١٢	صداقة شيطانية	٤٧
١٣	احبه ... يا أمي	٥٠
١٤	اليوم خمر وغدا لا أمر	٥٣
١٥	مبروك ... وللفقيد الرحمة	٥٦
١٦	وتاه العقل منها	٥٩

PDF-XChange
Click to buy NOW!
www.tracker-software.com

١٧	وتوارى عند المنعطف	٦٢
١٨	لن أكون كما يريد	٦٥
١٩	أنا وهو والثانوية العامة	٦٩
٢٠	كان الثمن غاليا	٧٢
٢١	محرقة كاتب	٧٤
٢٢	لا أريد قطا	٧٧
٢٣	المناسبة خاصة... ولكن	٧٩
٢٤	التهمها الغلاء	٨١
٢٥	صدى الأحبة	٨٣
٢٦	قطّة الحيّ الأرستقراطيّ	٨٥
٢٧	دموع فولاذيّة	٨٨
٢٨	أنا وهيفاء والدجيتال	٩٠
٢٩	ترك يدا حانية	٩٢
٣٠	أصداء رمضانيّة	٩٤
	الفهرس	٩٦

PDF-XChange
Click to buy NOW!
www.tracker-software.com

صفحة الغلاف الأخيرة

لا تتولد موهبة الكاتبة الأدبية بالنقل أو بالتقليد، بل بالعمل الجاد المتواصل، في محاولة خلق تجديد حر مادته الذات، وتعاملها مع الواقع بهوية متميزة تعبر تعبيراً واقعياً أو خيالياً عبر احداث القصة وسلوكيات شخوصها.

فالكاتبة فاطمة يوسف التي نقرأ لها اليوم مجموعتها القصصية الموسومة (حكايا النافذة) تنقل لنا صوراً حياتية نابضة نحس بها وكأنّ أحداث كلّ قصة تجري أمامنا ، تحاول فاطمة الغوص في نفسيات شخوص قصصها لدرجة التقمص، فتنقل لنا مشاعر تلك الشخصيات صادقة شفافة وببساطة تقترب من البوح، وبصياغة عربية سليمة.

نازك ضمرة